www.ibtesamah.com/vb

جورج سيمنون

جريمة في الكونغو

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

روايات الهلال

روائع القصص العالمي

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر يونيو 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن دار الهلال

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ١٤٩ * مايو ١٩٦١ * ذوالقعدة ١٣٨٠

No. 149 — MAY 1961

بيانات ادارية

ثمن العدد فى اقليم مصر والسودان ٨٠ مليما — فى الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى اقليم سوريا ١٠٠ قرش سورى — فى لبنان ١٠٠ قرش لبنانى — فى الاردن ١٠٠ فلس — فى العراق ١٠٠ فلس

الاشتراك السنوى (١٢ عددا) — اقليم مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا — اقليم سوريا ولبنان (بالطائرة) ١٠٧٥ قرشا سوريا لبنانيا — السعودية والعراق والاردن وليبيا واليمن وغزة والمغرب ١١٠ قروش صاغ — الامريكتين ٥ دولارات — سائر انحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا

طريقة الدفع

فى اقليم مصر : بموجب اذونات أو حوالات بريدية او شيكات — فى **السودان :** بموجب حوالات بريدية وشيكات **فى الخارج :** بموجب حوالة نقدية او بشيك على أحد بنوك القاهرة — وقيمة الاشتراك ترسل مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال او الى أحد وكلائنا ولا يمكن قبول أذونات البريد أو أوراق البنكنوت

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك — القاهرة

المكاتبات : روايات الهلال — بوستة مصر العمومية — مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

www.ibtesamah.com/vb

روايات الهلال

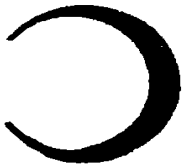

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

جريمة في الكونغو

مجلة الابتسامة

تأليف
جورج سيمنون

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

مؤلف الرواية

هو الكاتب البلجيكى المولد ، الفرنسى اللسان والقلم ، الامريكى المهجر ، العالمى الوطن ، جورج سيمنون ...

قال عنه اندريه جيد ـ وهو الاديب المدقق والثقة المتحرج ـ انه ربما كان أعظم الادباء المعاصرين الذين يكتبون باللغة الفرنسية . وقال عنه سومرست موم ، انه وصاحبه الانجليزى جراهام جرين ، أعظم روائيين فى هذا الزمان (من الجيل التالى لجيل موم الشيخ) ... وسماه أيضا « بلزاك هذا العصر »

وناهيك برجل يناهز الخمسين ، وله من الروايات الطوال أكثر من أربعمائة !

وناهيك بمؤلف الرواية البوليسية كأروع ما كتبها المتخصصون ، ويكتب الرواية الوجدانية الواقعية فكأنك تعيش مع أشخاصها فى حرارة وصدق ، ويكتب الرواية النفسية التحليلية فاذا بك تتغلغل الى داخل نفوس أبطاله ، وتعرفهم من سرائرهم الغامضة ، وتشغل بهم كأن العالم قد خلا الا من هؤلاء الابطال الخياليين ...

وهو الآن شغل النقاد الشاغل ، لهذا التعدد فى نواحى انتاجه تعددا يكاد يوحى بازدواج الشخصية ، فلا يتهمه أحدهم بسبب رواية بوليسية بالسوقية والاسفاف حتى يجد له رواية من الادب الرفيع الممتاز ...

انه أشبه فى انتاجه بالطبيعة : فيها الوهاد السحيقة وفيها القمم الشامخة ، وفى الحالين تتبدى قدرة الابداع والخلق لكل من القى السمع وهو شهيد ... !

ومن أعظم رواياته العالمية التى رشح من أجلها لنيل جائزة نوبل العالمية :

www.ibtesamah.com/vb

- اغلال الخطيئة وقد ترجمناها ونشرناها فى ديسمبر سنة ١٩٥٨
- الثلج الاسود
- فتاة فى ماضيه
- هذه المرأة لى ونشرناها فى أكتوبر سنة ١٩٥٩
- ثم هذه الرواية التى سميناها « جريمة فى الكونغو »

www.ibtesamah.com/vb

أهم شخصيات الرواية

فردينان جرو	Ferdinand Graux	: صاحب مزرعة بن بالكونغو
جورج بوديه	Georges Bodet	: نائب مأمور بالكونغو
يت أوهنريت	Honniette	: زوجته
ليدى ماكنسون	Lady Makinson	: نبيلة انجليزية حسناء
رونالد ماكنسون	Ronald Makinson	: زوجها الدبلوماسى
كابتن فلبس	Phelps	: طيار نيوزيلندى شاب
كميل	Camille	: مساعد فردينان
باليجى	Baligi	: فتاة من أهالى الكونغو
ميجر كروسبى	Major Crosby	: انجليزى يربى الفيلة بالكونغو
كوستمانس	Costemans	: مأمور بالكونغو
الاستاذ تاسان	Tassin	: والد خطيبة فردينان
اميلين	Emilienne	: خطيبة فردينان وابنة تاسان
ايفرست جرو	Evariste Graux	: والد فردينان
» » الصغير	» »	: شقيق فردينان الاصغر
مارى تيرز	Marie Thérèse	: شقيقة فردينان
سميث	Smith	: صاحب فندق
مكاسس	Macassis	: انجليزى صاحب مناجم ذهب

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الأول

أرأيت ياجورج ؟

كان ثلاثتهم جلوسا الى مائدة واحدة ، ومن حولهم موائد جلس اليها انجليز مسافرون معهم . واذا بها تقول لزوجها :

ـ هل سمعت ياجورج ؟ أسامع انت ياجورج ؟

وكان زوجها قد رفع الى شفتيه كوبا من البيرة ، فأبعد الكوب وأجفل قليلا وسألها :

ـ ماذا ؟

ـ هذا فردينان يقول أن الطريقة الوحيدة التى تكفل للانسان أن يطفىء ظمأه فى هذه البقاع هى شرب الشاى .. على أن يشربه ساخنا جدا ، فى أقصى درجة سخونة يطيقها ..

وقال زوجها باقتضاب :

ـ أعرف هذا ..

ورفعت الزوجة حاجبيها الرفيعين القصيرين ، وقالت بصوتها الرفيع :

ـ لماذا اذن تشرب البيرة ؟

وباقتضاب أيضا أجابها :

ـ لأنى لا أحب الشاى ..

وعاد الصوت الحاد يقول :

ـ ولكن هذه رابع زجاجة من البيرة تشربها اليوم !

وعاد الصوت المزمجر يجيب :

ـ وهل أحصيت أنا عدد السجائر التى دخنتها أنت منذالافطار ؟

وحاول فردينان جرو أن يكتم الابتسام ، فأشاح بوجهه ، والتقت عيناه بعينى ذلك الانجليزى المسن المتوطن فى نيروبى .. ودله بريق

www.ibtesamah.com/vb

عينى الشيخ على انه يفهم الفرنسية ، وأنه كان يتتبع ذلك الحوار بين الزوجين الشابين

ولكن اين ومتى كان ذلك الحوار على مائدة الشاى ؟ ان الانسان لايستطيع ان يقطع بمكانه وزمانه من الرحلة الا بمجهود عقلى ، فلأول وهلة يبدو أن الرحلة استغرقت أسابيع متوالية .. مع أنها فى الواقع بدأت فى فجر اليوم السابق ، أو فى الساعة الثانية صباحا بتعبير أدق

وهذا الجدال الزوجى بين جورج بوديه وزوجته الشابة حدث فى شرفة فندق كاتاركت بأسوان .. ولم يكن هذا أول احتكاك من نوعه ، بل سبقه خلاف آخر حول « البقشيش » فى القاهرة :

ـ اسامع انت ياجورج ؟

وكالعادة أجابها زوجها وكأنه قادم من سفرة بعيدة فى كوكب آخر :

ـ ماذا ؟

ـ هذا فردينان يقول اننا غير ملزمين باعطاء بقشيش للخدم .. فكل شىء من مصاريف الرحلة والفنادق والطعام والخدمة داخل فى أجر التذكرة

والواقع أن فردينان جرو فطن الى هذين الزوجين صغيرى السن، قبل ان يستقلا الطائرة بعيدة المدى بوقت طويل . ففى مرسيليا ، وقبل اقلاع الباخرة بساعة ، رأى شابة ضئيلة القد كأنها العصفور .. تندفع الى سطح السفينة ، ومن ورائها أمها وكهل مهيب الطلعة فى ثياب الأحد ، لابد انه والدها .. ولم يفطن لوجود زوجها عندئذ . ولعله كان فى مكتب الشركة لاتمام الترتيبات الخاصة بالرحلة

وكانت الشابة كثيرة الحركة بشكل مثير للأعصاب .. لايفتأ المرء يلتقى بها على السطح وفى الدهاليز وفى الصالونات وقاعات التدخين ، وهى تطوف بوالديها لتريهما معالم الباخرة الكبرى ...

وذرف الثلاثة الدموع عندما حان وقت الوداع .. وخطر ببال جرو فى البداية أن هذه الشابة زوجة أحد ضباط جيش المستعمرات من ركاب الباخرة ، وأن رتبته العسكرية تتيح للزوجين السفر بالدرجة الأولى بسعر مخفض . ثم انقضت فترة لم تستلفت فيها

www.ibtesamah.com/vb

الشابة نظر « جرو » ، لان الرحلة البحرية عنده معناها الاعتكاف بكتاب يطالعه مستلقيا فى مقعـــد من القماش ليستمتع بالشمس والهواء فى ركن بعيد من أركان سطح السفينة . وهكذا قضى اليومين الأولين من الطريق الى الاسـكندرية فى التهام ثلثمائة صفحة من كتاب عنوانه « احصائيات خاصة باقتصاديات مابعد الحرب »

فكيف اذن انعقدت الصلة بينه وبين تلك المرأة التى تشبه العصفور فى صغر حجمها وكثرة قفزها وحركتها وصوتها الرفيع ؟

بشيء من التفكير استطاع أن يتذكر تلك الملابسات .. فبعد ظهر اليوم الثانى ، وهو جالس مستلقيا فى مقعده يطالع ، جاءت الشابة ووقفت بجوار المقعد ثم حملقت فيه أولا ، وفى الـكتاب الذى بيده ثانيا . ورغم اعتدال الجو كانت مرتدية فوق رأسها خوذة جديدة واقية من الشمس ليس لاســتعمالها فى غرب البحر المتوسط أية ضرورة فى شهر مايو . وصاحت بصوتها الرفيع :

ــ يا الهى ! طبعا يجب أن تبدو متجهما هكذا مادمت تقرأ على الدوام كتبا مثل هذه ؟!

ولما فطنت الى أعمدة الارقام والاحصائيات ، استطردت تسأله :

ــ هل أنت محاسب ؟

وهز جرو راسه نفيا ..

ــ اذن ماهى مهنتك ؟

ــ زارع بن !

ــ أنت لست جادا !

وانه ليتصورها وهى تجرى نحو زوجها الذى كان يلعب الورق فى شرفة البار كى تصيح به :

ــ أتعلم ياجورج ؟ هذا الرجل الذى ينفرد بنفسه دائما ... اتدرى ما مهنته ؟ خمن !

انها امرأة صغيرة السن .. لاتزيد على العشرين ، ولون بشرتهـا فيه شحوب الفتيات الناشئات فى جو المدن الكبيرة . وكانت على سطح الباخرة تبدو قلقة ينبو بها المكان ، تقضى أيامها فى تصيد صحبة تؤنسها . وأما زوجها الذى ارتدى ثياب التدريب البيضاء المألوفة لدى المستعمرين بأفريقيا ، فراح يقضى معظم وقته فى لعب الورق

www.ibtesamah.com/vb

والصفوة من ركاب الدرجة الاولى كانوا يعرضون عنها متجاهلين وجودها ، ويلعبون الورق من الصباح الى وقت النوم ..

ولا ريب فى أنها كانت ضيقة الصدر بهذا النبذ ، فجعلت تذرع سطوح السفينة سطحا سطحا بلا كلل ولا ملل ، محاولة الاشتباك فى أحاديث مع من تعرفهم أو تحاول عقد أواصر التعارف مع ضباط السفينة والمشرفين على الخدمة فيها . وفى الليلة الرابعة من الرحلة ظلت تلح على مدير الترفيه وتطارده الى أن رتب حلقة للرقص بعد العشاء على السطح . وما أن بدأت تلك الحفلة حتى انسحب جرو الى قمرته ليتجنب الضجة

وعند النزول الى البر فى ميناء الاسكندرية ، ظن جرو أن هذا آخر عهده بالزوجين ، وشقّ طريقه بين الحمالين والأدلاء ، فركب أتوبيس الخطوط الجوية ليقله الى الفندق ثم الى المطار . وكم كانت دهشته حين وجد بذلك الاتوبيس الشابة وزوجها . وصاحت به على الفور :

ـ هل ستستقل طائرتنا ؟

وكان هو أحقّ منهما بأن يدعوها طائرته ، فطوال الاعوام الستة الاخيرة استخدم طائرات ذلك الخط ذهابا وايابا فى فترات متقاربة

واستطردت الشابة مشيرة الى زوجها :

ـ انك لم تقابل زوجى .. هذا هو جورج بوديه نائب مأمور نيانجارا فى الكنغو البلجيكى

ـ أعرف ذلك الموضع ..

ـ ماذا تقول ؟ هل تعرف نيانجارا ؟.. أسامع أنت ياجورج ؟

وكانت هذه أول مرة يسمع فيها جرو عبارتها المأثورة التى تلقيها بنظراتها الحادة « أسامع أنت ياجورج ؟ » وهى تلك العبارة التى كتب عليه أن يمل سماعها قبل نهاية تلك الرحلة الجوية الطويلة التى تمت على مراحل ..

ووقف الاتوبيس أمام فندق كبير . وانبرت المرأة قائلة :

ـ هيا بنا نجلس على مائدة واحدة .. فسائر المسافرين الآخرين انجليز . وسوف لا أفهم كلمة واحدة مما يقولون . هل تتكلم انت الانجليزية ؟

www.ibtesamah.com/vb

ثم

وكان هذا الرد كافيا كى تصيح مرة أخرى :

ـ أسامع أنت ياجورج ؟..

فيجيبها زوجها فى اقتضاب وضيق :

ـ ماذا ؟

ـ ألم أقل لك طول الوقت أنك يجب أن تتعلم الانجليزية ؟

يا لجورج من مسكين ! فى كل مرة خاطبته بهذه الطريقة كان يجفل ثم يغضى ببصره الى الارض ثم يلوذ بالصمت ..

وجورج شاب أشقر اللون فى نحو الخامسة والعشرين . ومع هذا بدأ جسمه يتجه الى البدانة . وله ثلاث سنوات من الخدمة المدنية فى الكنغو ، فى منطقة « متادى » ، وقد استغل أول اجازة طويلة له فتزوج . وهو لايكف عن الشرب بافراط .. ولكنه لايشرب الا البيرة ، الزجاجة منها تلو الزجاجة ، بحيث يبدو فى العادة نصف نائم .. واذا خوطب كان كمن يعود من سفرة بعيدة

ـ ماذا سنصنع الليلة ياجورج ؟ مارأيك فى أن نلقى نظرة على هذه المدينة لنشاهد أحياءها الوطنية وملاهيها ؟ لابد أنها طريفة مثيرة ...

ولم يمر على هذا أكثر من أربع وعشرين ساعة حتى كانت تناديه باسم فردينان مجردا قائلة له :

ـ وأنت أيضا يجب أن تنادينى باسم « يت » . انه اسم التدليل الذى ينادينى به الجميع . أما اسمى الحقيقى فهو هنريت .. ولكنه لايناسبنى . أليس كذلك ؟

ـ لماذا ؟

ـ لأنه اسم وقور جدا ، وأنا لست وقورا كما ترى وأحب المرح . ويجب على الناس أن يأخذونى على علاتى ، كما أنا ، فأنا باريسية . وعائلتى تسكن فى شارع بون مارشيه بالقرب من الباستيل .. هل تعرف هذا الشارع ؟

وبانطلاقها فى الكلام أغرقته بمعلومات مستفيضة عن أسرتها . فهو يعلم الآن مثلا أن والدها مدير قسم فى مؤسسة المتاجر المتحدة

www.ibtesamah.com/vb

بباريس ، وأن والدتها بلجيكية ، وانها تعرفت على جورج بوديه أثناء زيارتها لجدتها لامها فى مدينة شارلروا ببلجيكا ..

ولكن هذا كله لم يحمله ، رغم اشفاقه عليها الى حد ما ، على أن يصحبهما فى جولتهما الليلية بين معالم وملاهى مدينة الاسكندرية . وآثر أن يأوى الى فراشه ويتركهما لرعاية دليل من أدلاء الفنادق

وفى الساعة الثانية صباحا دبت الحياة فى الفندق الكبير مرة أخرى . وأخذ الخدم النوبيون يطرقون أبواب المسافرين من النزلاء . وسرعان ما تجمع نحو عشرة من الناس حول موائد مطعم الفندق الذى أضىء نصف مصابيحه فقط . وأخذوا يلتهمون افطارا مكونا من البيض المقلى واللحم المقدد ومربى البرتقال . انه افطار على الطريقة الانجليزية .. لان معظم المسافرين من الانجليز . ولما رأتهم « يت » سألت فى دهشة ساذجة :

ـ هل سيستقل كل هؤلاء الناس طائرتنا ؟

ـ نعم !

ـ وهل ستتسع لهم جميعا ؟

وكان وجهها شاحبا والتعب باديا عليها من كثرة السهر تلك الليلة وقلة النوم ، فنظرت الى البيض المقلى والى المربى باشمئزاز .. وعندما أحضروا لها قهوة فرنسية باللبن لم ترق لها وصاحت :

ـ ما افظع طعمها ! انها مصنوعة باللبن الصرف !

وكان صوتها الحاد يشق صمت قاعة المطعم حيث كان الانجليز مقبلين فيه على افطارهم بشهية وفى سكون تام .. ولم تسكت بل استطردت :

ـ ما أفظعهم ! انا لا افهم كيف يحشو هؤلاء الناس بطونهم على هذا النحو فى الساعة الثانية من الصباح !

ويبدو أنها كانت مطمئنة الى جهل أولئك الانجليز باللغة الفرنسية، فلم تكلف نفسها عناء خفض صوتها وهى تبدى هذه الملاحظات بشأنهم . وزاد من اقتناعها بذلك أنهم لم ينظروا نحوها .. مع أنهم جميعا يجيدون الفرنسية !

وكان الظلام حالكا عندما شق بهم أتوبيس الخطوط الجوية شوارع الاسكندرية الى المطار

www.ibtesamah.com/vb

ونصحها فردينان قائلا :

ـ حاولى بقدر الامكان أن تجدى لك مقعدا فى وسط القمرة

فانطلقت تصيح :

ـ اسامع أنت يا جورج ؟

ويظهر أنها لم تكن واثقة تماما بهمة جورج .. فجعلت تشق طريقها بمرفقيها بين المسافرين حتى كانت أول من صعد سلم الطائرة ، وبوادر السحر الأولى تلوح على الأفق الشرقى ، وهزيم محرك الطائرة يملأ بأصدائه جنبات الليل . وكان أول ما قالته « يت » لزوجها :

ـ أترى يا جورج ؟

ـ ماذا ؟

ـ أترى ماذا يرتدى فردينان ؟

ـ لماذا لا ترتدى ثيابا كهذه ؟ منظرها أحسن ولونها الرمادى لا تعلق به الاقذار مثل البنطلون القصير الابيض اللون الذى ترتديه دائما !

ـ ان جرو سيد نفسه ، وليس موظفا مثلى .. ولهذا فى وسعه ان يلبس ما يشاء ..

ولم تعلق « يت » على كلام زوجها ، لأن الطائرة بدأت تتحرك .. فتشبثت بذراع زوجها من ناحية ، وبمسند المقعد من ناحية أخرى .. أما فردينان فجلس فى ركن على سجيته ، وكأنه مستقر فى ديوان من دواوين السكة الحديد . وأخذ يفتح صفحات كتاب جديد عنوانه « بضع نظريات حديثة فى الانتاج والتوزيع »

وقبل السادسة صباحا نزلوا فى مطار القاهرة الدولى بعد أن مد سائر الركاب أعناقهم من النوافذ ليحظوا بلمحة من مشهد الاهرام الفريد

وفى مطعم المطار الجميل التنسيق تناول الركاب افطارا آخر . ثم تسلم كل واحد منهم سلة بها وجبة غداء محترمة مكونة من الشطائر الدسمة والبرتقال ووعاء حافظا للحرارة به شاى ساخن

وصاحت « يت » بزوجها :

ـ أرأيت يا جورج ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ ماذا ؟

ـ لم أصب بغثيان ولا دوار من الطائرة !

وكان فردينان يعلم بالتجربة أن ما من أحد يصاب بغثيان فى هذا الجزء من الرحلة الجوية الطويلة . وكانت الحرارة قد بدأت تشتد ورمال الصحراء تلمع فى الشمس .. فعمد كل واحد من الركاب الى نظارته السوداء ليحمى عينيه

ـ هل أنت متزوج يا فردينان ؟

ـ كلا .. أو على الأصح لم أتزوج بعد .. لى خطيبة ستأتى بعد ثلاثة أشهر عندما ينقضى موسم الامطار .. وسنعقد زواجنا فى نيانجارا

ـ ألا يزعجك أن تتركها تسافر كل هذه المسافة وحدها ؟

ـ ولماذا أنزعج ؟

ـ أوه ! ان جورج لا يمكن أن يتركنى أسافر وحدى وأبيت فى الفنادق بمفردى .. انه غيور للغاية !

وكان صوتها المرتفع الحاد قد أخذ يثقل على أعصاب الجميع . وراح المسافرون الانجليز يرمونها بنظرات لا يمكن أن توصف بالود أو الاعجاب

وحلقت الطائرة على ارتفاع ستة آلاف قدم فوق مجرى النيل ، وكأنه شريط من الفضة وسط سهل من ذهب الصحراء تحف به فصوص من زبرجد أخضر . وبعد أقل من ربع ساعة من التحليق بدأ الغثيان يداعب « بت » . فبسط فردينان صحيفة فوق ركبتيها أنقذت ثوبها فى اللحظة الاخيرة . ثم صحبها زوجها الى حجرة الغسيل بالطائرة . وظلت تعانى من الغثيان والدوار الى أن هبطت الطائرة فى أسوان فى الساعة الثانية بعد الظهر

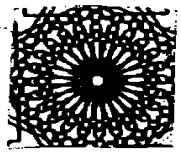

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثانى

أبو نظارة

كانت الحرارة شديدة فى مطار أســـوان ، وليس فى ذلك المطار أبنية كبيرة ·· والمدينة تبدو على بعد منه لا يكاد يظهر منهـــا الا أطراف المآذن

وفى قاعةالطعام المسقوفة بالخشب قدمت وجبة من الطعام. وعلى مائدة المقصف هناك قال جرو لهتريت أن أفضل طريقة لاطفاء العطش فى تلك البقاع هى شرب الشاى ساخنا جدا · وعلى الفور صـاحت « يت » :

ـ أسامع أنت يا جورج ؟

وأشاح فردينان بنظراته ، فالتقت بعينى الانجليزى الباسمتين. وكان رجلا مسنا مهيبا فضى الشعر يرتدى بذلة خفيفة من الصوف جيدة التفصيل · وكانت هذه العلامات كافية للدلالة على أنه رجـــل أعمال فى طريقه الى مدينة الكاب

وكان من السهل أيضا على فردينان ، أن يخمن البلد الذى يقصده انجليزى اخر كان يحمل معه أربع بنادق ضخمة على الرغم من ارتفاع أسعار الشحن فى الطائرة · فهذا الرجل وجهته نيروبى وهو من كبار صيادى الوحوش · أما ضباط الجيش الشبان الذين يحملون معهـم عصا الجولف ومضارب التنس ، فوجهتهم ولا شك مدينة الخرطوم

أما المزارعون فلم يكن هناك منهم سوى رجل واحد نحيـــل فى أواسط العمر معه امرأة ترتدى السواد ، يغلب أنهـــا امرأته · وقد سمعه جرو يتحدث الى الانجليز الاخرين عن بستان التفاح الذى يملكه وأشجار الكرز · ومعنى هذا أن وجهته كينيا ، فهى تشبه فى مناخها مناخ أوربا

www.ibtesamah.com/vb

وشعرت « يت » بتحسن بعد أن شربت بضعة فناجين من الشاى الساخن

ـ كم يسعدنى أن أحظى بندم طويل فى الخرطوم .. فمتى نصل الى هناك يا فردينان ؟

ـ سوف لا نصل الى هناك اليوم

ـ ماذا تقول ؟ ولكن جدول المواعيد يقول ...

ـ أعرف هذا .. ولكنى قمت بهذه الرحلة مرارا كثيرة . وفى كل مرة يجد الطيارون سببا ما مثل حالة الرياح أو الجيوب الهوائية ، كى نبيت فى وادى حلفا

ـ أسامع أنت يا جورج ؟ أهناك على الاقل فندق فى وادى حلفا ؟

ـ نعم وهو فندق جيد تتوفر فيه كل أسباب الراحة ..

وهذا ما حدث بالفعل .. ففى الساعة الخامسة هبطت الطائرة وسط الصحراء ونقلتهم العربات الى بناء ضخم نظيف غاية النظافة مظهره أشبه بالمصح منه بالفنادق. وعب جورج بوديه عدةزجاجات من البيرة المثلجة ، ثم بدا عليه الانشراح واقترح الذهاب لمشاهدة معالم المدينة . ولكن فردينان قال له :

ـ ليست هناك مدينة ، وانما هى قرية تبعد بضعة أميال عن المطار ولابد للوصول اليها من استئجار سيارة تاكسى

ـ ألديك فكرة عن الاجر ؟

ـ جنيهان

ـ أوه !

وبدأ جورج يقوم فى ذهنه بعملية التحويل لمعرفة كم يساوى هذا من الفرنكات البلجيكية . وانصرف المسافرون الانجليز الى لعب البريدج . أما « يت » فراحت تبدى سخطها واستياءها من كل شىء : من الطعام ، والشراب ، ومن جهل الخدم الوطنيين فى الفندق باللغة الفرنسية جهلا تاما . فقال فردينان لها :

ـ ان معظم المسافرين هنا انجليز

ـ ولكننا ندفع نقودا كما يدفع الانجليز فعليهم أن يفهموا لغتنا !

ولم يعلق فردينان بكلمة . وزاد من سخط « يت » أن الانجليز لم يلقوا بالا اليها ولا الى زوجها . وهى التى اشترت لهذه الرحلة الجوية

www.ibtesamah.com/vb

ثوبا انيقا يصلح للنزهة على شاطىء السين فى يوم الاحد ، ولكنه يبدو هنا غير مناسب بشفافيته فى جوف الصحراء ... ووجهت اهتمامها كله الى فردينان :

ـ هل تعرف مأمور نيانجارا ؟

ـ لقد التقيت به مرة أو مرتين .. فمزرعتى لا تبعد اكثر من ستين ميلا عن نيانجارا

ـ وهل لديك سيارة ؟

ـ نعم .. فلا يمكننى أن أدير أعمالى بغير سيارة فى تلك الجهات وسأجدها فى انتظارى فى مدينة جوبا ، حيث تهبط بنا الطائرة

ـ أسامع أنت يا جورج ؟ وما شكل هذا المأمور ؟ وهل هو متزوج ؟

ـ نعم .. واعتقد ان زوجته ستضع قريبا

ـ اذن سنتوافق فى أمزجتنا ، لأنى أنوى أن أنجب أنا أيضا طفلا، وان كان جورج لا يرى ذلك من الصواب . بسبب المناخ كما تعلم

ونظر اليها فردينان ومال الى رأى جورج .. فهى على الرغم من حيويتها البالغة رقيقة التكوين ، وليس من المؤكد أنها ستتحمل قسوة الجو هناك

ـ ولكنى مصممة على رأيى ، وقد أخبرت جورج بذلك ، وأبلغته أن عليه أن يرتب نفسه على هذا الاساس ، وأن يجتهد فى تحقيق رغبتى .. فالحياة هناك مزعجة جدا لامرأة وحيدة ليس لديها ما يشغلها طول النهار . وانا مستعدة للمراهنة على أن عندى فعلا مشروع حمل ..

وانطلقت تسرد على فردينان تفاصيل وتواريخ دقيقة آحمر لها وجهه . وخامره الاعتقاد أنها تتعمد اثارة خجله أو استعراض تمدنها .. وزوجها المسكين يعب البيرة المثلجة ويقطب حاجبيه ويطرق الى الارض ليدارى حرجه

واخيرا استدارت الى زوجها ، وقد لاحظت استياءه ، وصاحت:

ـ لماذا تقطب جبينك ؟ لماذا لا أتكلم بصراحة عن أمور تتعلق بتكوينى الطبيعى كامرأة ؟ أتعتقد أن فى هذا تبذلا ؟ الطبيعة دائما لا عيب فيها .. وانا امرأة طبيعية فخور بانى امرأة !

وابتسم الانجليزى العجوز مرة اخرى عندما التقت عيناه بعينى فردينان ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ ولكنك لم تخبرنى بعد ما شكل هذا المأمور ؟
ـ سترين بنفسك
ـ هل هو شاب ؟
ـ فى نحو الثلاثين
ـ أتظن أنه سيأتلف مع زوجى وستأتلف زوجته معى ؟ إننا على كل حال سنكون الاوربيين الوحيدين هناك

وعلى عادته فى الحذر أجابها فرديناند :

ـ سترين ..
ـ وهل هذا الموضع جميل ؟

وتحير فرديناند بماذا يجيب ... فهذا نوع من الاسئلة يحسن أن تنتظر حتى ترى الجواب عنه بنفسها

ـ ما الذى قلت أنك تزرعه ؟
ـ البن ..
ـ أهى زراعة رابحة ؟
ـ حتى الآن لا ..

والحقيقة أنه أنفق فى هذه المزرعة أربعمائة الف فرنك لم يعوضها بعد .. فشجرة البن تبدأ فى الاثمار بعد ثلاثة أعوام ،ولكنها تستغرق خمسة أعوام حتى تعطى عائدا مجزيا ..

ـ وهل لديك حيوانات ؟
ـنعم ... فيلة !
ـ هوه ! هل سمعت يا جورج ؟
ـ ماذا ؟
ـ لديه فى مزرعته فيلة ! .. هل تربيها عن هواية أو ماذا ؟
ـ لا عن هواية بل لاستئصال الاشجار من الارض واعدادها للزراعة
ـ كم لديك من هذه الفيلة ؟
ـ ثلاثة .. أحدها اسمه « عقلة الاصبع » ،وهو غيرمقيد بالسلاسل ويأتينى كل يوم وأنا على مائدة الافطار ليلقى على تحية الصباح ..

وناموا تلك الليلة مبكرين .. وفى الثالثة صباحا أيقظهم الخدم. وعلى مائدة الافطار الباكر ، كانت تبدو « يت » نصف نائمة وجلدها لامعا ، لانها لم تغتسل ولم تضع المساحيق على وجهها ، وقالت :

www.ibtesamah.com/vb

ـ أنا واثقة أنى سأصاب مرة أخرى بالغثيان

والحقيقة أن خمسة من المسافرين أصيبوا بالغثيان فى هذه الرحلة ، لكثرة الجيوب الهوائية الكبيرة بين وادى حلفا والخرطوم

وفى الخرطوم نزلوا أيضا فى فندق كبير لا يتكلم أحد من رجاله اللغة الفرنسية . وفى وقت الشاى جاءت الى الفندق مجموعة كبيرة من النساء الحسان فى ثياب أنيقة غاية الاناقة .. الامر الذى اغتاظت له « يت » . ولم تقتصد فى اظهار سخطها عليهن ، ولما حان وقت العشاء وصل سخطها الى درجة الغليان عندما وجدت نفسها محاطة بسيدات فى أثواب السهرة البديعة وبرجال يرتدون أربطة العنق البيضاء والسترات السوداء

وحل اليوم الثالث ، وفيه ارتفعت الكلفة بين الانجليز ، وشعر الجميع كأنهم قضوا معا دهرا طويلا . فلما أقبل فردينان على مائدة الافطار قالت له « يت » من غير تفكير :

ـ صباح الخير يا عزيزى

ولم تكن شهيتهم للطعام كبيرة ذلك الصباح . ولم يحلق جورج بوديه ذقنه .. وركبوا جميعا طائرة مائية تتبعت بهم مجرى النيل الابيض . وكانت « يت » تنظر بتعجب الى الاشجار والمراعى وتقول :

ـ لم أكن أتصور افريقيا على هذا النحو يا عزيزى فردينان .. انى لم تقع عيناى حتى الآن على أحد من الزنوج !

ـ لا تقلقى ! سترين الكثيرين منهم قريبا

ـ اننا سنصل هذا المساء الى جوبا .. اليس كذلك ؟

ـ هكذا يقول جدول المواعيد .. ولكن يحدث فى العادة شىء ما يدعونا للهبوط فى ملكال . وهناك نبيت فى ثكنات الجيش

ولمعت عينا « يت » وهى تسأل :

ـ كلنا معا فى عنبر واحد ؟

ـ كلا .. فستدبر لكما القيادة حجرة صغيرة على انفراد

وبدأ جورج بوديه يبدى ضيقا بسلوك زوجته ، فهو أيضا قد عاش فى افريقيا . ولكن يبدو أن زوجته تنسى هذا .. فهى تتجه دائما الى فردينان بالاستفسار . وكلما سمعت شيئا جديدا التفتت نحو زوجها لتوجه اليه سؤالها المتكرر المزعج :

www.ibtesamah.com/vb

ـ أسامع أنت يا جورج ؟

وهاهى ذى لا تقتصد فى اعجابها بكل ما يقوله فردينان وكل ما يملكه . وفردينان سيد نفسه وليس موظفا صغيرا فى الادارة المدنية حركاته مقيدة ومعيشته محدودة

ـ كم أحب أن أرى فيلة فردينان .. أتعلم أنه يربى أيضا شبل أسد ؟

وهز جورج بوديه كتفيه ، ونظر اليها نظرة شزراء ..

ووقفت الطائرة مرتين فى محطتين للتموين ، قدم فيهما الشاى والشطائر وزجاجات الشاى الساخن . وكما تنبأ فردينان تقرر المبيت فى ملكال . وعلى مائدة العشاء أنصت فردينان لما كان الطيار يقصه على مسامع الركاب الذين يأكلون على مائدته . ولاحظت « يت » إهتمامهم الشديد بما يقول . ولما كانت تجهل الانجليزية فقد التفتت الى فردينان وسألته :

ـ ماذا يقول ؟

ـ انتظرى ! ... لقد وقع حادث

ـ أين ؟

ـ ش ش ش !

وبعد بضع لحظات أوضح لها كل شىء :

ـ يبدو أن طائرة ارتطمت بالارض فى موضع مامن الغابة ليلة أمس ...

ـ طائرة مثل طائرتنا ... وبها ركاب ؟

ـ كلا .. انما هى طائرة خاصة تملكها ليدى ماكنسون ، وكانت تقوم برحلة مع صديق لها اسمه كابتن فلبس . وكانا قد غادرا القاهرة فى نفس الوقت تقريبا الذى غادرناها فيه ..

ـ وأين كانا ذاهبين ؟

ـ الى موضع يبعد نحو ثمانين ميلا عن مزرعتى . فهناك توجدمزرعة كبيرة لتربية الفيلة وتدريبها يديرها انجليزى يعتبر نمطا فريدا فى شخصيته . وكانت الليدى ماكنسون فى طريقها للاقامة عنده بعض الوقت . والمفروض أن الطائرة كانت ستصل أمس مساء .. ولكنها لم تظهر فى السماء ولم تصل أى أنباء عنها

www.ibtesamah.com/vb

وقالت « يت » باشمئزاز :

ـ ولماذا تقتنى امرأة طائرة خاصة ؟ غرور فارغ !

وبدا على المسافرين الانجليز القلق الشديد بسبب تلك الانباء . ولهذا رموا « يت » بنظرة قاسية عندما سمعوا ملاحظتها الاخيرة ..

وفى اليوم التالى سارت الامور على النحو المعتاد .. يقظة فى الساعة الثالثة واحتساء الشاى الساخن ثم حشو الآذان بالقطن وركوب الطائرة

وأثناء التحليق انقضت الطائرة من ارتفاع ستة آلاف قدم لتقترب من وجه الارض وجذبها فرديناند من ذراعها وأشار الى النافذة ليلفت نظرها ، فاذا قطيع هائل من الزرافات وأفراس البحر .. وبعد ساعة حلقوا فوق قطيع اخر من الفيلة . وكانت « يت » تبدى اهتماما شديدا ، ويزداد اعجابها بفرديناند الرجل القوى الصامت الواثق من نفسه . فهو طراز الرجل الذى كانت تتمنى أن تتزوجه .. فعيناه قصيرتا النظر تبدوان خلف منظاره السميك هادئتين لا يثيرهما شىء وكان قد أخبرها بجانب من حياته فى الكونغو :

ـ ان السود يسمونني « تالا تالا » .. وسيطلقون عليك أيضا اسما خاصا بهم .. فجميع البيض لهم أسماء خاصة يطلقها عليهم السود

ـ وما اسمك أنت ؟ ما معناه ؟

ـ معناه « أبو نظارة »

ـ أسمعت يا جورج ؟ وماذا أطلقوا عليك أنت ؟

وبغير حذر أجابها قائلا :

ـ الرجل الذى لا يرتوى

والحقيقة أن فرديناند لم يخبرها بكل ما يتعلق باسمه عند السود .. فالسود يطلقون عادة اسمين مختلفين على كل أوربى ، وأحد الاسمين لا غبار عليه أما الاسم الاخر فلا ينادونه به الا حين يخلون الى أنفسهم لانه يعبر عن رأيهم الحقيقى فيه . ذلك أن السود لديهم فطنة شديدة ودقة ملاحظة على خلاف ما يبدو عليهم من عدم الاكتراث

والواقع أن فرديناند حين يخلع نظارته مثل أى انسان لينظفها يبدو شكله متغيرا جدا بصورة تدعو للدهشة . ويزول عنه وقاره

www.ibtesamah.com/vb

ويبدو على حقيقته فى الثامنة والعشرين فتى لا حول له ولا بأس يفتقر الى الثقة بنفسه . وكان أسمه السرى عند السود « الابيض الذى لا يكون رجلا الا بالنظارة ! »

وأخيرا ... عندما وصلت الطائرة الى جوبا كانت الساعة قد أوفت على الخامسة بعد الظهر . وفى المطار استقبلتهم مجموعة من الضباط الانجليز فى ثياب « كاكية » اللون وحفنة من الزنوج أنصاف العرايا

وفى مطار جوبا تفرق المسافرون .. وظهرت الحيرة على بوذيه وزوجته ، فليست لديهما أية فكرة عما يصنعان بأمتعتهما ولا كيف يصلان الى نيانجارا . فهذه أول مرة يسافر فيها جورج بالطائرة . ولم تكن معهما الا حقيبة واحدة ، أما بقية الامتعة فلن تصل الا بعد شهرين عن طريق البحر

وأخذ الزوجان الشابان يتجولان فى مدينة جوبا ، وهما يتناقشان فى الموقف ، فاذا بسيارة كبيرة يقودها فردينان وقد وقفت بجانبهما

ـ هل تحبان أن آخذكما فى سيارتى الى حدود الكونغو البلجيكى؟ انى سأصل الى هناك اذا ساعدنى الحظ فى ساعة مبكرة من الليل

وأصرت « يت » على أن تجلس بجوار فردينان .. واستقر جورج مع الحقائب فى المقعد الخلفى . وكان الطريق لا بأس به . وكل نصف ساعة أو نحوها يمرون بقرية من قرى الوطنيين .. فكانت « يت » تفتح عينيها جيدا لتملأهما من منظر الزنوج العراة الذين سمعت عنهم أساطير كثيرة فى أوربا .. كانت تلتهمهم بنظراتها !

وقال لها فردينان :

ـ اذا أسعدنا الحظ التقينا فى طريقنا بأسد .. وسترين أن المصابيح الكاشفة تزيغ بصره فيجمد فى مكانه ولا يستطيع حراكا

ـ أليس هذا خطرا ؟

ـ كلا .. وبعد قليل ينسحب أو يجرى بأسرع ما يستطيع أمام السيارة !

وفى النهاية وصلوا الى بودى حيث يوجد فندق مبنى من الخشب وسط حديقة مترامية الاطراف . ومروا فى طريقهم بنقطة حراسة على الحدود ، ولكن فردينان لم يوقف السيارة وقال للزوجين :

www.ibtesamah.com/vb

ـ سنسوى الامور مع السلطات غدا صباحا

وفى هذا الفندق الذى يملكه رجل أسمر اللون أشيب الشعر يونانى الجنسية ، كان النظام أكثر تسامحا مما هو فى الفنادق الانجليزية . وأخذ صاحب الفندق يتحدث الى فردينان بغير كلفة عن مزرعته وفيلته ، وعن أخبار الاقليم . وظهر على جورج الارتياح والمرح لانه وجد هناك سجائر بلجيكية يدخنها وبيرة بلجيكية يشربها ..

وقبل أن يذهب الزوجان الى فراشهما ، ظهرت عليهما بوادر القلق مرة أخرى ، بخصوص الرحلة الى نيانجارا .. فقال لهما فردينان :

ـ أخشى أنه ليس فى وسعى أن أوصلكما الى هناك ، لان طريقى لا يمر بنيانجارا .. ولكن هناك أتوبيسا يقوم من هنا كل يوم أربعاء وجهته نيانجارا

ـ ومتى سنراك ؟

ـ ربما فى الاسبوع القادم .. وربما أيضا فى السنة القادمة !

وفى الساعة السادسة صباحا استقل فردينان سيارته ، وانطلق نحو المزرعة ، وهو فى غاية الانشراح .. فالكونغو بمثابة موطنه الحقيقى ومشايخ القرى التى مر بها فى طريقه كانوا يحيونه ويرحبون به . وفى ثالث قرية أشار له شيخها بالوقوف ، ثم أخبره باللغة المحلية أن طائرة سقطت فى مزرعته ...

وكان بديهيا أنها طائرة الليدى ماكنسون ..

ان البيض بكل ما اخترعوه من البرق والتليفون لم يعرفوا النبأ بعد .. أما هؤلاء السود فيعرفون الانباء بطريقة طبول التوم توم التى تنقل دقاتها كل شىء بسرعة البرق ..

وكان فردينان يحمل فى سيارته مكعبات من الملح ، جعل يوزعها على الاهالى ، كما يوزع الانسان الحلوى على الاطفال .. فالملح هناك هو المادة النادرة . وهو سعيد بوجوده بين هؤلاء السود حيث لا فنادق ولا جدران بيضاء تذكر الانسان بالمستشفيات . وشعوره وهو عائد من أوربا كشعور المنفى وهو يعود الى وطنه وفى كل قرية كان يحلو له أن يربت على رءوس الاطفال الذين عالجهم من حمى الملاريا فى العيادة الخيرية التى أنشأها بمزرعته ..

انه لم يعد فردينان جرو .. بل هو الان « أبو نظارة » الذى يزرع

www.ibtesamah.com/vb

البن ويداوى المرضى مجانا ويشعر بالدعة والطمأنينـــــة بين هؤلاء البسطاء الذين يعيشون على الفطرة ..

ان حنينه الى بيته الذى بناه بيده يزداد كلما اقترب .. فيزيد من سرعة السيارة وهو لا يدرى ..

وعندما انعطف فردينان فى طريق جانبى شقه بنفسه بين أشجار الغابة بدأ المطر يتساقط .. ومن بين الحشائش الطويلة النامية كانت تلمع بين الحين والحين عيون ترقبه فى صمت .. ولم يكن يشعر منها بالتوجس لانه يعرف أولئك السود وما هم عليه من الدماثة وكان واثقا أن نبأ وصوله يتردد الان فى الغابة بدقات الطبول ، وان تحركاته ومدى تقدمه ترصد بدقة بواسطة تلك العيون المتلصصة بين أوراق الشجر

وتحت وابل المطر كان يلتقى أحيانا بفتاة صغيرة عارية تظلل نفسها بورقة كبيرة من أوراق الموز . وتذكر على الفور أول مرة عاد فيها من أوربا ليجد وكيله الفرنسى كميل ، وقد أعد له استقبالا اقطاعيا عجيبا .. فحشد نحو خمسمائة من أولئك السود الاشداء أمام باب البيت للترحيب به وتقديم ولائهم للسيد ، ومعهم فرقة من الراقصـــــين والموسيقيين الوطنيين . وتملك الغضب فردينان لهذا المنظر الـذى يتنافى تماما مع ما يفهمه من العلاقة بينه وبين أولئك الناس من الاهالى .. ولاول مرة فى حياته تناثرت الشتائم البذيئة من فمه موجهةالى كميل .. مع أن كميل رفيق طفولته ..

ولم يستطع كميل بعقليته الاوربية المتحجرة أن يفهم وجهة نظر فردينان الذى يعتبر نفسه انسانا يقف على قدم المساواة مع جميـــع الناس بصرف النظر عن اختلافهم فى اللون ... ومع هذا اضطر كميل لمجاراة مخدومه على مضض

وأخيرا حين لاح له سقف بيته عن بعد ، رأى فى الساحة الامامية رجلين أبيضين يقتربان منه على مهل .. وأحدهما مساعده « كميل » أما الآخر فلم يره من قبل ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثالث

احتدال

كانت الطريقة التى قدم بها الرجلُ الغريب نفسه دالة تمام الدلالة على شخصيته ، فلم يظهر عليه أى توتر على الاطلاق وهو يخاطب شخصا غريبا عنه لأول مرة :

ـ أنا « فلبس »

وكان كل ما أجابه به فردينان :

ـ أعلم هذا ..

وبسبب وجود هذا المتطفل لم يتمكن كميل من الترحيب بمخدومه ، كما كان يتمنى .. واستطرد فلبس يقول :

ـ اذن أنت لديك معلومات عن الحادث الذى وقع لنا ؟ أنا لا أستطيع أن أتصور كيف سمعت به ! فنحن لم نتمكن من تبليغ كلمة واحدة الى أية جهة أو أى إنسان .. ودراجة مساعدك البخارية مكسورة ..

وتدخل كميل فى الحديث قائلا :

ـ لقد أرسلت عداء الى نيانجارا ..و لا بد أن يكون قد وصل الآن الى هناك ..

وعاد فلبس يقول :

ـ وما دمت تعلم أنباء الحادث ، فلا بد أنك تعلم أيضا أن لادى ماكنسون معى ، وأنها أصيبت عند ارتطام الطيارة .. حدث لها انتقال فى مفصل الركبة ، وقد فعلت لها ما قدرت عليه ولكن ...

وسار الرجال الثلاثة بخطا بطيئة نحو شرفة البيت .. وكان كميل يرتدى بذلة من لون بنى قاتم ـ مغزولة بمغزل يدوى ـ ومزلكا من الجلد ، وهو الزى الذى يرتديه الفلاح الفرنسى عندما

www.ibtesamah.com/vb

يخرج لقضاء يوم فى الصيد العنيف . أما الكابتن فلبس ، فكان مرتديا بذلة من الفانلة الرمادية اللون جيدة التفصيل ..

ولما صعد فلبس درج البيت مسرعا ،همس كميل :

ـ اضطررت لاعطائها حجرتك ..

وكانت حجرة فردينان كبيرة مربعة الشكل لها سقف من القرميد الاحمر مثل سائر البيت . وهناك شرفة كبيرة واحدة تدور حول البناء كله ، وتفضى اليها جميع الحجرات . والجدران من الداخل يبدو فيها الطوب الاحمر عاريا بغير طلاء . والزينة الوحيدة التى تزدان بها تلك الجدران هى بنادق الصيد والمسدسات

وزفر كميل وهو يسأل :

ـ هل سعدت برحلتك يا سيدى ؟

وكان واضحا من لهجته وزفرته أن الظروف المحيطة بعودة مخدومه أثارت استياءه .. وقال فردينان بايجاز :

ـ كانت رحلة لطيفة .. شكرا

وابتسم فردينان لأنه سمع حفيفا خافتا .. ولما تلفت حوله بسرعة ، لمح طرف ثوب ابيض منقط بدوائر زرقاء فى الجزء الخلفى من البيت

انها « باليجى » ، مديرة بيته السوداء .. وهى تروح وتجىء ولا تجد الجرأة على اظهار نفسها ..

وقال كميل مشيرا الى الطائرة :

ـ لقد رأيتها هناك .. اليس كذلك ؟

وكان فردينان قد رأى الطائرة عند سفح التل المفضى الى شاطىء النهر

ـ لقد ظننت فى البداية ياسيدى أنهما قتلا .. وكنت مشغولا باصلاح دراجتى البخارية عندما وقع الحادث

وكان الكابتن فلبس لم يزل فى الحجرة مشغولا بأمر الليدى ماكنسون . وتذرع فردينان بالصبر وهو ينتظر خروجه ، ووجه نظره نحو الطائرة التى انغرس مقدمتها فى الارض ، واستطاع أن يرى نحو عشرين رجلا يعملون على تخليصها .. فألقى نظرة تساؤل على كميل ، فقال كميل :

www.ibtesamah.com/vb

ـ أرجو أن أكون قد أحسنت التصرف يا سيدى .. فبمجرد أن نقلنا الليدى الى هنا ، طلبت منى أن أعمل على تخليص الطائرة من الطين بأسرع ما أستطيع . واهتم الكابتن فلبس على الفور بتنفيذ هذا الامر . ولحسن الحظ انه لم يصب الا برضوض بسيطة جدا ، وهو يريد منا أن نمهد طريقا من هناك الى الساحة الواقعة أمام البيت .. فهذه الساحة على قوله هى المكان الوحيد الذى تستطيع الطائرة أن تحلق منه بعد اصلاحها . وقد بينت له أن شق ذلك الطريق معناه اجتثاث ثلثمائة شجرة على الاقل ، عمر كل منها خمس سنوات تعبنا فى تربيتها كل تلك المدة ..

وعندئذ انفتح الباب ، وبرز منه وجه « فلبس » مفترا عن تلك الابتسامة الساحرة التى يتقن سرها ، وقال بصوت مرتفع :

ـ انه ليسر الليدى ماكنسون أن تتعرف اليك وتبلغك مدى امتنانها

وبقى كميل فى الخارج .. ولم يستطع فردينان فى مبدأ الأمر أن يكتشف موضع الفراش . وكان قد نقل الى موضع جديد ، والضوء خافت بسبب الستائر الثقيلة المعلقة فوق النوافذ

ـ ادخل يا مسيو جرو ..

وكانت فرنسيتها خالية من أية لكنة أجنبية . ورآها جالسة على الفراش تدخن سيجارة ، وبجوارها أحد كتبه وهو كتاب « رحلات الكابتن سكوت »

ـ لا بد أنها كانت صدمة كبيرة لك يا مسيو جرو أن تجدنا هنا ، وقد وضعنا اليد على كل شىء بهذه الصورة .. قدم سجائرك يا جيمى !

ـ انها كل ما بقى لدينا كما تعلمين ..

ـ ولكنى أرجو أن يكون مسيو جرو قد أحضر معه كمية محترمة من السجائر

ـ أنا فى الحقيقة لا أدخن ..

ـ أسمعت يا جيمى ؟ من منا نحن الاثنين كان على صواب فى القاهرة ؟ لقد قلت لك هناك أنى أريد أن آتى معى ببضعة آلاف من السجائر

ـ وأين كنا نضعها ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ كان فى استطاعتك أن تستغنى عن احدى بنادقك أو حللك .. اجلس يا مسيو جرو ، فأنا اكره الحديث الى الناس وهم واقفون .. ان مساعدك أرسل عداء الى نيانجارا ، فهل تظن أنه وصل الى هناك الآن ؟

ـ ان كان قد بدأ الجرى أول أمس ، فلا بد أن يكون قد وصل الى نيانجارا فى ساعة مبكرة من صباح اليوم

ـ اذن لا بد أن يكون اللاسلكى قد نقل الآن أنباء سلامتنا

ـ فى الغالب .. وأنا أتوقع أن تكون نيانجارا قد اتصلت تليفونيا بمدينة ستانلى‌فيل حيث توجد محطة للاذاعة ..

ـ عسى يا فلبس ألا يكون رونالد قد طار من اسطنبول فعلا ..

ثم التفتت نحو فردينان ، وقالت له :

ـ زوجى هو الملحق العسكرى فى السفارة البريطانية بأنقرة . وفى هذا الوقت من السنة ، يكون فى اسطنبول مع الاطفال . .أشعل لى سيجارتى يا جيمى واجلس من فضلك ، فانك تبدو مضحكا وأنت تشرف بقامتك هكذا على امرأة جالسة فى الفراش

والواقع أنه كان طويل القامة بشكل ملحوظ .. عريض الكتفين، ولكنه فيما عدا هذا نحيف القوام ، وله وجه طويل وجبهة ضيقة مرتفعة وشارب صغير كأنه فرشاة الاسنان !

ـ أرجو ألا تكون ساخطا على يا مسيو جرو لاستيلائى على فراشك بهذه الصورة .. والحقيقة أننا كنا سعيدى الحظ جدا . وبهذه المناسبة ، هل تعرف مزرعة الفيلة ؟

ـ نعم ، فقد عقدت عدة صفقات مع الميجر كروسبى

ـ انه صديق قديم لنا .. وهو منذ سنوات يدعونا لصيد الحيوانات الكبيرة عنده . ولما كنت قد اشتريت أخيرا طائرة جديدة بعيدة المدى ، خطر لى أنها فرصة طيبة لتجربتها . وأخذت معى الكابتن « فلبس » وهو طيار من الطبقة الاولى

ولا شك أن كميل كان ينتظر خروجه الى البهو .. ولاحظ فردينان وجود زجاجة من الويسكى على منضدة بقرب الفراش ، و « ترموس » على شكل ابريق به ماء ثلج

ـ كدنا نصل الى تلك المزرعة بعد ظهر أول أمس عندما وجدنا

www.ibtesamah.com/vb

أنفسنا فجأة وسط مجموعة من السحب قرب الغروب ، فلم نستطع أن نتبين وجهتنا ، وظللنا ندور فى الفضاء نحو ساعة بحثا عن فجوة وسط السحب نرى منها الطريق .. وهكذا قيض لنا أن نلمح بيتك ، فرحنا ندور حوله مدة بحثا عن موضع نهبط فيه . وأخيرا اخترنا ذلك المنحدر ، وبدأنا فى الهبوط بأقل سرعة ممكنة . ولكن شاء الحظ السيىء أن نصطدم بشجرة ثم نرتطم بالارض ..

فقال فردينان بجفاف ، فلأمر ما كان لا يشعر بالارتياح :

ـ أرجو ألا تكون اصابتك خطيرة

ـ لقد التوت ركبتى .. انفك مفصلها .. هذا كل ماحدث لى . وهو لن يمنعنا من السفر بمجرد الانتهاء من اصلاح الطائرة . ولا حاجة بى الى القول بأننا سنعوضك عن كل هذا الازعاج وعن التلف الذى حدث لمزرعتك . وبهذه المناسبة أظن أن القوم فى نيانجارا سيرسلون الطبيب على الفور ؟

ـ هذا اذا لم يكن فى احدى دوراته طوافه بالريف ، كما هو الحال فى معظم الاوقات .. وهل انت متأكدة أن مفصل ركبتك به التواء ؟

ـ متأكدة جدا .. فمنذ طفولتى وأنا أكسر فى كل سنة تقريبا عضوا من أعضائى . ولهذا أعرف جيدا كل ما يتعلق بأحوال ساقى !

وصمت فردينان .. وسكتت هى أيضا ، فأدرك أن المقابلة انتهت . وتحرك « فلبس » نحو الباب ، وخرج فردينان ، وقال له « فلبس » :

ـ سأراك بعد قليل ..

وبقى فلبس مع الليدى بالداخل وأغلق الباب .. وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر . ولما أبصر كميل مخدومه ، أخرج غليونه من فمه ونظر اليه متسائلا .. فكل منهما يعرف الآخر منذ الطفولة . وفردينان من أسرة ميسورة الحال ، فوالده صاحب متجر كبير للأسلحة فى مولان ، وهو من ملاك الاراضى الزراعية فى الوقت نفسه . وكميل ابن أحد المستأجرين فى تلك الاراضى ، يعمل فى استنبات مزرعة بالقرب من شفنى

www.ibtesamah.com/vb

وكان الشابان صديقين حميمين فى أيام الطفولة . وعندما أتى فردينان بكميل معه الى الكونغو ، كان هدفه من ذلك التمتع بصحبة ذلك الشاب أكثر من الاستفادة من خدماته . ولكن أفكار كميل كانت عتيقة وعقليته غير متحررة ، فلم يستطع رغم رقة مخدومه ودماثته أن يجعله يتحدث اليه فى خلوتهما حديث ند لنده ، وصديق لصديقه بلا تكلف

وسأله فردينان :

ـ ما رأيك فيها ؟

ـ كل ما أعلمه انها من الشخصيات النسائية البارزة فى مجتمع لندن الراقى .. ويبدو أن زوجها كان ياور الامير ويلز عدة سنوات

ـ اظن أن الكابتن هو الذى قال لك هذا .. اليس كذلك ؟

ـ فعلا ..

ـ اسمع ! ماذا تظن فى نوع العلاقة بينهما ؟

ـ لقد رأيت بنفسك ..

ـ بل أريد رأيك أنت ..

ـ أنا فى الحقيقة لا أستطيع أن أقطع برأى فى هذا الموضوع فهو يقبل يدها ويعاملها بكل احترام .. ولكنها تناديه دائما باسم « جيمى » ، وتتم تدخين السجائر بعد أن يكون قد دخن أوائلها .. وهو ينام فى حجرتى التى تركتها له

وكان البيت نصفه عبارة عن البهو الكبير الذى يستخدم حجرة للجلوس وللطعام .. والنصف الآخر حجرتان للنوم والمطبخ . وهناك براميل من الزنك تملأ بالماء الساخن وقت اللزوم وتستخدم للاستحمام ..

ـ وأين تنام أنت ؟

ـ فى الليل يا سيدى أضع سريرى « السفرى » هنا ..

ـ يحسن بى أن أحذو حذوك .. مر باحضار سريرى «السفرى» الى هنا من فضلك أيضا ..

وابتسم فردينان مرة أخرى ، لأنه سمع صوت شخص يتحرك فى المطبخ .. انها « باليجى » ولا شك ! ولابد أنها تعجب وتتساءل متى بعد هذه الغيبة الطويلة سيتعطف سيدها ويلقى باله اليها !

www.ibtesamah.com/vb

و « باليجى » فتاة من قبيلة « لوجو » لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها . ومع هذا فهى ناضجة الانوثة نضوجا رشيقا فاتنا .. وهى الفتاة الوطنية الوحيدة فى هذه البقاع التى ترتدى ثيابا على الطريقة الاوربية ، ولكنها ترفض أن ترتدى تحت الثوب شيئا من الملابس الداخلية ..

وكان ابتسام فردينان لأنه تذكر سؤالا آخر من أسئلة «يت» :

ـ أسامع انت يا جورج ؟

ترى أين كان ذلك ؟ لعله كان فى المساء بمطار الخرطوم . وكانت « يت » كالعادة تنهال عليه بالأسئلة حول حياته الخاصة بالكونغو :

ـ أتريد أن تقول انك عشت خمس سنوات بمفردك تماما فى الكونغو كنت فيها مخلصا طول الوقت لخطيبتك ؟! لا تحاول أن تدخل فى رأسى أنك لم تزل مرة واحدة فتخون مع احدى أولئك البنات السود الفاتنات اللواتى سمعت الكثير فى باريس عن مزاياهن الجسدية !

وكان جوابه عليها بكل هدوء :

ـ عندى مديرة للبيت .. شابة سمراء .. شأنى فى هذا شأن جميع الاوربيين المقيمين هناك .. وهذا شىء طبيعى

وأغمضت « يت » احدى عينيها ، وسألته بخبث واغراء :

ـ ماذا تعنى بمديرة البيت ؟ ما هى حدود ادارتها بالضبط ؟

ـ تشمل كل شىء ..

ـ كل شىء ؟ تشمل الليل والنهار والمائدة والسرير ؟

ـ كل شىء .. ليست هناك فواصـــل دقيقة بين جميع هذه الأمور

ـ وماذا عن الفتاة المخطوبة لك فى فرنسا ؟

ـ انها تعرف بالطبع حقيقة الوضع .. فقـــد أخبرتها الحقيقة بنفسى

ـ ألا تشعر بالغيرة ؟

ـ ليس هناك ما يستحق الغيرة .. وعندما تأتى خطيبتى ستترك الفتاة السوداء البيت ، وتتزوج أحد مواطنيها فى قرية أخرى

وعندئذ أطلقت سؤالها المعتاد بصوتها الحاد :

www.ibtesamah.com/vb

ـ أسامع أنت يا جورج ؟

وغمغم جورج بتأفف :

ـ نعم سامع !

ـ ان فردينان على الأقل صريح .. وأنا معجبة به لهذا السبب. صريح وواضح وقوى ويشعر بحقه كرجل ويمارسه علانيـــة . وكم كنت مغفلة عندما صدقتك حين زعمت أنك لم تنظر الى فتـــاة سوداء !

ـ مسكين جورج ومسكينة « يت » ! لا بد أنهما الآن قد وصلا الى نيانجارا وتعرفا الى كوستمانس المأمور والى زوجته ..

واتجهت خواطر فردينان وجهة أخرى :

ـ كيف حال الفيلة ؟

ـ على ما يرام ... وكان « عقلة الاصبع » شـاحب اللون فى الاسبوع الاخير ، ولكنه تغلب على تلك الوعكة

وقاوم فردينان رغبة قوية فى أن يذهب ويتحدث الى باليجى فى المطبخ على الفور .. فمن الافضل الا يظهر لها لهفة شديدة ، ولذا قال لكميل :

ـ هيا بنا نطوف بالمزرعة ونلقى نظرة على أقسامها ..

ثم تناول سوطه من فوق المشجب وخرج الشابان ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الرابع

فى الظلام

وفى طريقهما الى النهر ، سأل فردينان كميل :

ـ ماذا صنعت بالمستوصف ؟

ـ لقد أصلحت سقفه المنهار ..

وعلى شاطىء النهر ، أقيمت مجموعة من الأبنية بها آلة للمياه ومخازن وورشة للحدادة والنجارة ومكتب ومستوصف .. كلها جيدة البناء كاملة الاستعداد ، استعدادا يدل على أن حياة فردينان الحقيقية ليست فى بيته ، وانما هى هنا على شاطىء النهر حيث العمل الجدى فى الاصلاح وتغيير معالم الارض وتربية الحيوان .. حياة موصولة بروح الارض وعرق الانسان ومجهوده الايجابى ..

وفجأة التفت فردينان نحو كميل ، وقال :

ـ انها لا تبدو متألمة من ركبتها على كل حال ..

ـ لقد كان هذا حالها منذ أول لحظة حتى لقد خيل الى أنها لم تصب بشىء يعتد به .. فلم يظهر عليها الضيق أو الأسى أو الالم عندما نقلت بالمحفة الى البيت . وقالت لنا أنها متعودة منذ طفولتها على تلك الاصابات والرضوض

ـ ومن الذى يهتم بطعام الليدى ماكنسون ؟

ـ الكابتن فلبس

ـ كيف هذا .. وباليجى ؟

ـ ان الليدى ماكنسون ترفض أن تأكل شيئا مسته امرأة سوداء !

ولاذ فردينان بعد ذلك بالصمت .. وهو ليس صمتا عاديا ، بل هو من نوع خاص .. صمت يمتزج بعدم الاستقرار وتوتر الاعصاب،

www.ibtesamah.com/vb

لان فردينان شخص منطو على نفسه ، لا يميل الى رفع الكلفة مع أحد ، ولا يستخدم أسماء التدليل .. وحتى فتيات المراقص فى بلدته بفرنسا ، كان ينادى الواحدة منهن دائما باسم مدموازيل .. وخطيبته نفسها لم يكن يناديها باسم ما من أسماء التحبب ..

انه شديد الاعجاب بوالده.. ولكنه ليس على شاكلته، فلايعرف كيف يتودد الى الناس ، ويقنعهم باهتمامه بأمورهم . وكل ما يهمه فى الحياة هو العمل ، ولكنه ليس عملا مقصودا لذاته بل للهرب من السأم ومن العالم الخارجى الذى يتمثل فى العلاقات البشرية

وخطيبته ابنة موثق عقود من أصدقاء الاسرة المقربين ، اسمه الاستاذ « تاسان » . ومنذ كان فردينان فى الخامسة عشرة ، كان وجهه يحمر كلما قابل «اميلين» التى كانت فى الثالثة عشرة عندئذ . وبعد بضع سنوات ترددت اشاعة مؤداها انها ستتزوج من ضابط فى حامية مولان .. ولكن السنوات مرت ولم يتم ذلك الزواج

وكان قد رحل الى الكونغو فى تلك الفترة ، وقضى هناك ثلاثه سنوات .. فلما عاد الى بلدته فى أول اجازة طويلة ، أدهشه أن يسمع أمه تقول له ذات صباح :

ــ لماذا لا تذهب لزيارة « اميلين » ؟ انها لا تترك بريدا يمر من غير أن تسأل عن أخبارك .. وهى فتاة لطيفة جدا ، أليس كذلك ؟

وهكذا بدأت المسألة تأخذ شكلها الجدى .. وعقدت الخطبة بعد قليل . وتقرر أن تحضر « اميلين تاسان » الى الكونغو بعد انقضاء موسم الامطار الغزيرة ..

و « اميلين » شابة رزينة عاقلة فى السابعة والعشرين من عمرها ، متينة الاعصاب .. لا تقل فى ذلك عن فردينان نفسه . وجميع الاصدقاء يؤكدون أن كلا منهما قد خلق للآخر . وقد قدم اليها على سبيل الهدية قائمة بالكتب الفنية التى تتصل بموضوع زراعة القهوة وزراعة الفانيليا ، وبهوايته الخاصة وهى علم الاقتصاد السياسى أيضا ..

ونبه كميل مخدومه من أفكاره ، وهو يسأله :

ــ أرجو ألا يغضبك اقدامى على تلبية رغبتهم بقطع هذه الأشجار لشق الطريق ..

www.ibtesamah.com/vb

وكان الصمت قد طال حتى أن فردينان أجفل عند سماع السؤال ، واستطرد كميل قائلا :

ـ والحقيقة يا سيدى أنها لم تكن رغبة فحسب ، بل كانت أكثر من هذا .. كانت نوعا من الامر ..

ولما لم يجب فردينان ، تجاسر كميل وسأله :

ـ هل رأيت أسرتى ؟

ـ أوه .. نعم .. لقد ذهبت الى المزرعة ، وشقيقتك «أورتنس» ستنجب طفلا بعد قليل

ـ هكذا بسرعة ؟ وكيف حال أبى ؟

ـ كالمعتاد ..

وتنهد كميل ، وقال :

ـ انه لم يزل يفرط فى شرب النبيذ الابيض ؟!

ـ نعم .. انه لم يتغير كثيرا .. وعندما يشرب فى المساء يكون من الافضل عدم معارضته فى أى قول أو رأى . ومع هذا كله فهو رجل طيب ومجتهد وشجاع

وعادت أفكاره تحوم بسرعه حول تلك المرأة وذلك الشاب الانجليزى اللذين أغلقا عليهما الباب فى حجرة نومه . وشعر فجأة بثورة غضب لم يكن يتوقعها .. ومع هذا سأل كميل بهدوء :

ـ هل أخبرتهما أنى أعرف شيئا عن التطبيب ؟

ـ كلا .. لم أجسر على ذلك

والحقيقة أن فردينان كان قد درس الطب فى فرنسا فترة من الزمن . وفى هذه السنوات الست التى قضاها فى الكونغو كان يهتم بعلاج عماله الوطنيين وزوجاتهم . وأتم بنجاح عمليات ولادة كثيرة عسيرة ، وجبر كثيرا من الكسور فى عظام السود . وعندما قضم التمساح ذراع أحدهم ، قام بعملية البتر بنجاح تام ..

وذكره ذلك بحيوانات النهر .. فأجال نظره فى التيار وسأل :

ـ وبهذه المناسبة .. كيف حال صديقنا العجوز (فرس) ؟

وقصة (فرس) ترجع الى ثلاث سنوات .. ففى ذلك الوقت جاء فرس البحر واستقر فى هذا الموضع من النهر . واعتبروه نوعا من أنواع حيوانات التسلية ، لأنه لم يكن خطرا فى الحقيقة ، وان

www.ibtesamah.com/vb

كان له ميلٌ خاص الى الدعابات العمليـــة العنيفة .. فيتعرض لقوارب الاهالى وسط مجرى النهر ، ويقلبها ليستمتع بمنظـــر الوطنيين السود ، وهم يقاومون الماء

وأجابه كميلٌ قائلا :

ــ أظنه الآن نائما .. ولكنك ستراه غدا صباحا

وفجأة استقر رأى فردينان على شيء .. وعاد بسرعة الى الدار. وطرق باب حجرة النوم بعزم ، ففتحه الكابتن « فلبس » على الفور ..

ــ أريد أن أتحدث اليك ..

ومن عادة فردينان عندما يستقر رأيه على شيء أن يفضى بقراره فى عبارات موجزة ، ليست فيها أية محاولة للمجاملة . وهذا ناتج عن خجله الشديد الذى يكلفه مجهودا كبيرا فى الافضاء برأيه ..

وتبعه الكابتن الى الشرفة الكبيرة التى تحيط بالبيت .. وبلا مقدمات ، قال له فردينان :

ــ أريد أن أتحدث اليك عن الليدى ماكنسون .. فقد فهمت مما قالته لى أنها تنتظر حضور الطبيب الى هنا بين لحظة وأخرى

ــ هذا صحيح ..

ــ وهذا أمر بعيد الاحتمال ، لأنه فى معظم الأحيان يطوف بالقرى .. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يستحسن ألا تعلق عليه أملا كبيرا

ــ هل تعنى أنه ليس طبيبا ماهرا ؟

ــ أن الحكومة البلجيكية لا ترسل الأطباء الماهرين الى هنـــا لمعالجة السود .. انه شخص قليل العلم .. مهمل فى عمله ، يفرط فى الشراب

ــ وما العمل ؟

ــ أنا شخصيا لست حاصلا على شهادة رسمية فى الطب من جامعة .. ولكنى قطعت فى دراسة الطب شوطا كبيرا . وعنـــدى خبرة عملية عظيمة ، وهذا شيء لا بد منه لكثرة الحوادث هنا . فاذا كانت الليدى ماكنسون تشعر أن فى استطاعتها الوثوق بمهارتى ثقة كافية ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ لحظة واحدة من فضلك ..

وانسحب الكابتن « فلبس » الى حجرة النوم ، وظل فردينان مدة ربع الساعة التالية يسمع أصداء مناقشات بين الاثنين ، وهو واقف خارج باب حجرة نومه ، كأنه شخص يلتمس مقابلة موظف كبير !

وليقتل الوقت ، قال لكميل الذى كان قد تبعه الى البيت :

ـ اذهب الى المستوصف ، واحضر حقيبة الاسعافات الأولية ، وحقنتين من النوفوكايين ..

وكان واضحا أن الانجليزيين يقلبان المسألة على وجوهها ، ولا يستطيعان الوصول الى قرار بسهولة .. فلديهما شكوك طبيعية حول مدى كفايته . وأخيرا انفتح الباب ، وقال « فلبس» :

ـ هل لك أن تتفضل بالدخول لحظة ؟

وكانت الليدى ماكنسون تدخن كالعادة ، وهى جالسة فى الفراش ووراء ظهرها وسادتان . ولاحظ فردينان أنها كانت مرتدية بيجامة من الحرير الشفاف ، تكشف عن قوامها النحيل المشوق، وعن صدرها الصغير الناهد الذى يشبه فى بروزه المتحدى صدر فتاة صغيرة ..

وقالت الليدى ماكنسون :

ـ دعنا وحدنا يا جيمى ..

وانتظرت الى أن غادر الشاب الحجرة ، وأغلق الباب وراءه . وعندئذ رمقت فردينان بنظرة طويلة ثاقبة من خلال سحب الدخان المتصاعدة من السيجارة المدلاة من فمها ، وقالت :

ـ أنظر الى الناحية الاخرى من فضلك ..

وسمع حفيف الحرير فأدرك أنها تخلع سروال بيجامتها

ـ سأرى الآن ان كنت أهلا للثقة .. اقترب ..

وكانت أغطية الفراش مرفوعة الى قرب خاصرتها كاشفة عن ساقين طويلتين رشيقتين .. واحداهما معصوبة عند الركبة

ـ والآن أسرع .. بل انتظر ! أعطنى سيجارة أولا

وكانت تدخن بشراهة عظيمة ، وهو يحل الضماد عن ركبتها .. ثم نظر اليها وقال :

www.ibtesamah.com/vb

ـ لقد أرسلت الى المستوصف فى طلب النوفوكايين .. وفى نيتى أن أعطيك حقنة لتسكين الألم

ـ وهو كذلك .. ولكن أسرع بربك !

وذهب الى الباب ، وصاح يطلب ماء ساخنا .. ثم قال لها :

ـ لعل الكابتن يستطيع أن يساعدنى ..

فقالت على الفور باقتضاب :

ـ كلا !

ـ وهو كذلك

وظلت تجذب الأنفاس القصيرة العصبية من سيجارتها ، وتطلق بين لحظة وأخرى زفرة صغيرة .. فسألها :

ـ هل أولمك ؟

ـ لا ..

وكانت على نحافتها سمراء الجلد من تأثير التعرض للشمس والرياضة .. وكانت عضلاتها الطويلة المتينة تبدو واضحة تحت بشرتها النحاسية ..

ـ أخشى أنى سأولمك الآن قليلا .. ولكن لمدة ثوان لا أكثر

ـ أسرع .. ولا تحفل بشىء

وتماسكت الى أن فرغ .. وعندما راح يثبت الضمادة والجبيرة فى منتصف فخذها ، اضطر الى رفع الغطاء قليلا .. ومن غير تفكير قال وقد احمر وجهه :

ـ لا مؤاخذة

وكانت أعصابه متوترة للغاية .. وكل همه فى أن يفرغ من هذه المسألة بسرعة . ولما رفع يديه عن فخذها ، سمعها تقول :

ـ متى تتوقع أن يتم نقل الطائرة الى هنا ؟

ـ سأخصص فيلين لاقتلاع الاشجار وتمهيد الارض .. وأرجو أن يتم ذلك فى مدى ثلاثة أيام على الأكثر

ـ ابذل فى هذا من الهمة كل ما استطعت .. من فضلك

والمعنى المفهوم من هذا الكلام أنها متلهفة على الرحيل .. وطلبت منه أن يعطيها المرآة الصغيرة ، وانصرفت الى ترجيل شعرها الذهبى المحمر

www.ibtesamah.com/vb

ـ والآن اعطنى المشط من فضلك .. شكرا لك . كلا لا تنصرف الآن .. ناد الكابتن « فلبس »

ولما اقترب « فلبس » ألقى عليها نظرة تساؤل، فقالت بلا تردد :

ـ لقد قام بالمهمة على خير وجه فيما اظن ..

وانصرف فردينان الى جمع أدواته ووضعها فى حقيبته بسرعة ، ثم قال :

ـ أرجو أن تخبرينى عما تحبين تناوله من الطعام

ـ أوه .. سيتولى جيمى تسوية هذه المسألة معك

وعندما كان فى طريقه الى الباب ، نادته الليدى ماكنسون قائلة بلهجة ودية :

ـ شكرا لك مرة أخرى يا مسيو جرو .. الحقيقة أنك أحسنت

وقال له كميل بصوت منخفض لا يخلو من ملام :

ـ انها تبكى ..

ـ دعها تبكى !

وكان الاثنان يأكلان معا فى البهو .. وقد مر بهما « فلبس » منذ قليل ، حاملا الى المخدع صينية بها علبة دجاج محفوظ فى الجيلى وزجاجة من النبيذ الفرنسى . ولم ينس « فلبس » أن يلقى عليهما أثناء عبوره ابتسامة قائلا :

ـ ما رأيكما فى الساقى الجديد !

ثم دخل حجرة النوم وأغلق بابها عليهما .. ولم يفت كميل أن يظهر امتعاضه لحرص الانجليزيين على اغلاق الباب دائما ، وهما فى حجرة نوم ..

وعشاء فردينان وكميل يبدأ دائما بالحساء .. ثم هناك طبق من السمك المسلوق الطازج الذى صادوه أثناء النهار من النهر . ولما انتهى الحساء ، لم تحضر باليجى كالعادة لأخذ الآنية الفارغة واحضار الطبق الجديد .. فاضطر كميل أن يذهب الى المطبخ

وعند عودته من المطبخ أشار الى باليجى وبكائها .. فكان رد فردينان :

ـ دعها تبكى !

www.ibtesamah.com/vb

ثم فعل شيئا لم يره كميل يفعله من قبل .. اذ غرس مرفقيه على المائدة . ولما أحضرت باليجى الطعام فى أول مرة لم ينظر اليها .. وقال لها بفتور :

ـ طاب مساؤك يا باليجى

لهذا عادت الى المطبخ وتركت الخدمة وانصرفت للبكاء .. وهاهو ذا نحيبها الان يشتد بعد عودة كميل ، وفشله فى مواساتها .. وصاح فرديناند :

ـ هذا مستحيل ..

ـ ماذا تعنى يا سيدى ؟

ـ أعنى أن ضيوفنا انجليز .. وأفكارهم ليست فى بساطة أفكارنا . ولا يمكن أن يهضموا صوت بكائها

ـ ولكن ..

ـ اذهب اليها وحاول أن تفهمها الموقف .. وقل لها من فضلك أنهما لن يبقيا هنا أكثر من يومين أو ثلاثة .. وبعد هذا تكون لنا حريتنا كاملة ..

ولأمر ما لم يكن راغبا فى الذهاب الى المطبخ بنفسه ليوضح لها الأمور . وبطبيعة الحال لم يكن مستطاعا أن يسمح لها بالحضور أثناء الليل لتبيت معه فى فراشه كالمعتاد ، وخصوصا بعد غيبته الطويلة

وسأله كميل وهو ينظر الى باب المخدع المغلق :

ـ هل جميع الانجليز منافقون ؟

ـ ربما .. ولكنهم عندما تكون لهم علاقات بفتيات وطنيات يفعلون ذلك فى الخفاء

ـ وهذا هو النفاق بعينه .. وبهذه المناسبة ألم تعطك شقيقتى خطابا لى ؟

ـ بلى .. انه فى حقيبتى .. وسأستخرجه لك غدا

وبعد برهة صمت ، قال :

ـ فى أية ساعة ينامان ؟

ـ لا أدرى بالضبط .. فكل ما أعلمه أنهما يبقيان معا الى نصف الليل أو الى الواحدة صباحا . ويوقظانى ثلاث مرات على الأقل

www.ibtesamah.com/vb

لاحضار الثلج . وقبيل فجر أمس ، أيقظنى « فلبس » لأن عنكبوتا كبيرا كان فى السقف . والغريب أنهما لم يسمحا لى بقتله ، لأن الليدى ماكنسون تتشاءم من قتل العنـــكبوت .. فرميته من النافذة !

ولما استمر بكاء باليجى، وهما راقدان فى الظلام .. نهض فردينان وأسرع الى المطبخ بنفسه . وبعد قليل كفت الفتاة عن البكاء . ثم أقبلت فى الظلام وفردينان يسحبها من يدها الى موضع فراشه فى البهو المظلم ..

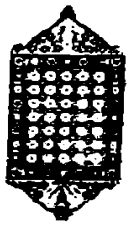

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الخامس

اطفىء النور !

ظل فردينان مغمضاً عينيه لا يفتحهما ، ومع هذا لم يوافه النوم . وكان يرى ـ وكأنه مفتوح العينين ـ ذلك الخط من الضوء الذى يبدو من تحت باب حجرة الليدى ماكنسون ، الى أن انطفأ ذلك النور فجأة ..

وكان من السهل عليه أن يتوهم أن النوم تسلل الى جفنيه فرأى ذلك فى الحلم . ولكنه كان واثقا من أن النوم لم يتسلل الى جفنيه .. بلْ وكان فى وسعه أن يحدد ـ على وجه التقريب ـ الوقت الذى اختفى فيه الضوء : وهو الساعة الحادية عشرة .

وبين الحين والحين ، كان كميل يتقلب ، وهو نائم نومه العميق فى الناحية الاخرى من البهو ، فيئن سريره السفرى ويصر حتى ليوشك أن ينهار .. وكلما تقلب مرة ، أطلق من فمه غطيطا مثل انطلاق البخار المحبوس من قاطرة ..

وأما « باليجى » فلم يكن فى وسع المرء أن يقول بصفة قاطعة هل هى نائمة أو لا .. فهى متكورة ، لا تبدى حراكا ، وصوتها غير مسموع .. ولكن ليس من المحتمل أن تكون غارقة فى النوم .. وانما هو الاستمتاع الساكن باياس بعد وحشة

وبعد مدة قصيرة من اختفاء النور ، راح فردينان فى نوم عميق .. ثم استيقظ فجأة وجلس فى فراشه يحدق أمامه بعينين غاضبتين .. وغمغم كايتن فلبس :

ـ آسف جدا .. لست أدرى كيف بدر هذا منى

وكان مابدر منه هو ما يأتى :

عند مغادرته لحجرة نوم الليدى ماكنسون ـ وقد نظر فردينان

www.ibtesamah.com/vb

عندئذ فى ساعة معصمه ووجدها الثانية الا ربعا ـ ضغط باصبعه من غير تفكير على زر النور الكهربائى . وانبعث فردينان جالسا في فراشه راكلا الغطاء ..

ومن هنا جاء شعور « فلبس » بالحرج واعتذاره ..

وأسرع يطفىء النور ، واجتاز الى حجرته الخاصة .. بينما كميل يتقلب وهو نائم ويطلق غطيطه المعتاد

ولاشك فى ان « باليجى » كانت يقظى .. ولكنها كانت تكتم أنفاسها وتخشى أن تتحرك ، لانها تشعر شعورا غامضا أن ماحدث كان آخر ماينبغى أن يحدث ...

وفردينان ايضا كان نهبا لافكار غير مستحبة .. فتركها راقدة بجواره ربع ساعة . ثم همس لها كما كانت تتوقع أن يهمس :

ـ عودى الى المطبخ ياسمراء !

فالحصير الذى كانت تنام عليه مفروش على أرض المطبخ بجوار موقد البترول الكبير ...

والليالى الاستوائية الحارة متساوية كلها فى الطول .. فمن أول السنة الى آخرها تشرق الشمس فى الساعة السادسة . وعندما يستيقظ « كميل » من نومه يكون فردينان قد نهض واخذ طريقه الى حظيرة الفيلة

وعند شروق الشمس كان المطر قد انقطع ، والاشعة تنفذ مثل السهام الذهبية من فجوات بين السحب . وكان فردينان لايسخطه من كميل شيء سوى كراهيته للنظافة . فهو يرتدى القميص الكاكى اللون أياما متوالية . أما الاغتسال والاستحمام فيغفلهما بالاسابيع وغالبا ماينام بثياب الخروج . ثم ينهض فيخرج الى عمله مباشرة مكتفيا بمسح وجهه بخرقة مبللة بالماء

ولما دخل « كميل » حظيرة الفيلة وجد الفيل الكبير المسمى « عقلة الاصبع » يأكل قطعا من قصب السكر والجمار من يد سيده ، وهو فى حالة انشراح لا مزيد عليها.. ولكن أفكار فردينان كانت ولا ريب شاردة فى موضع بعيد جدا عن « عقلة الاصبع » فبمجرد دخول « كميل » سأله :

ـ من العداء الذى أرسلته ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ « ماكى » .. ففى آخر مرة قطع المسافة فى أربع وعشرين ساعة . وأعتقد أنه ينتظر هناك الى أن يعود فى سيارة الطبيب أو المأمور

وفى منتصف الساعة السابعة رن جرس ، وتجمع السود خارج أبنية المخزن والورش على شاطىء النهر . وقام « كميل » بالتفتيش والتتميم عليهم على الطريقة العسكرية الصحيحة .. أما فردينان فبقى فى المؤخرة ، ولكنه تدخل عندما كان كميل على وشك توزيعهم على الاعمال المختلفة ، قائلا :

ـ وجههم كلهم الى تخليص الطائرة من الطين .. حتى ننتهى من هذه المسألة !

واتجه بنفسه الى الموضع الذى سقطت فيه الطائرة ، وقد غاص مقدمها فى طين الارض الى مسافة كبيرة . وتناول الفأس من يد أحد رجاله ، وأخذ يحفر حول مروحة الطائرة . وسرعان ما اكتشف أنها مكسورة ، فهز كتفيه وابتعد بعد أن ألقى نظرة سريعة داخل القمرة فوجدها أنيقة من الداخل كأنها سيارة فاخرة .. فالمقاعد مكسوة بالجلد الاخضر الفاتح

ولما عاد الى البيت وجد الكابتن « فلبس » مرتديا ثيابه فى كامل الاناقة كالمعتاد ... وبادره قائلا فى ارتباك :

ـ انى فى الحقيقة أشعر بالخجل الشديد من نفسى ، لانى اضطرك للنوم فى مثل ذلك الفراش السفرى .. وأرجو ...

وقاطعه فردينان بلهجة لا تخلو من جفاف :

ـ خبرنى ! أين صنعت هذه الطائرة ؟

ـ بالقرب من لندن .. ولا توجد سوى طائرة واحدة أخرى تماثلها .. هى طائرة بطلة الطيران البعيد « آنى موليسون »

ـ وهل لديكم مروحة أخرى للطائرة ؟

ـ كلا بالطبع ..

ـ فى هذه الحالة أرجو أن تتكرم فتخبرنى كيف تعتزم الطيران بهذه الطائرة مرة أخرى ؟

وكانت فى صوته لهجة شماتة .. فقال « فلبس » متعجبا :

ـ ماذا تعنى ؟ أتعنى حقا أن المروحة قد تحطمت ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ هذا ما أعنيه بالضبط .. ولابد أن أقول لك أيضا شيئا دهشت له دهشة بالغة ..

ـ وماهو ؟

ـ أنك ، وقد قضيت يومين هنا ، لم تكلف نفسك عناء فحص طائرتك لمعرفة ما أصابها

وتلعثم الشاب .. وتلاشت ثقته بنفسه ، مما يقطع بأن هذه الثقة ليست الا مظهرا خارجيا يخفى خجلا شديدا .. وأسرع يغير الموضوع ..

ـ انى خارج لتوى من عند الليدى ماكنسون . وكنت قادما لابلغك أنها تود أن تراك الآن اذا وجدت ذلك مناسبا ...

واتجه فردينان الى باب حجرة النوم .. وطرقه ثم دخل ، فقالت له :

ـ طاب صباحك يامسيو جرو .. انى فى الحقيقة لا أدرى كيف أعبر لك عن أسفى لكل ذلك الازعاج الذى سببناه لك

أتراها كانت تلمح الى الاحراج الذى سببه « فلبس » حين عبثت أصابعه سهوا بزر النور الكهربائى ؟

ان سحنة فردينان على كل حال ، كانت أبعد ما تكون عن اللطف والمودة ، وهو يحملق فى المراة الجالسة على الفراش والى جوارها صوان يحمل بقايا افطارها ، وبين شفتيها تتدلى سيجارتها

ـ هلا جلست ؟

ـ وقتى فى الحقيقة ضيق جدا .. وما أريد أن أعرفه هو : ماهى خططك ؟

وبقى واقفا ، وعلى وجهه نظرة عناد ، وهى ترمقه بدهشة :

ـ متأسفة .. لا أفهم مرادك

ـ ظننت انك تعلمين أن طائرتك لم تعد صالحة للعمل ، لان المروحة مكسورة ..

فابتسمت ابتسامة شاحبة ، وقالت :

ـ حقا ؟ فى هذه الحالة يجب أن أبرق الى لندن فى طلب مروحة اخرى

وخيل اليه أنها تسخر منه فى سرها .. وأنها تمعن فى اغاظته ،

www.ibtesamah.com/vb

وقد رأت على سحنته بوادر الاستياء ثم استطردت قائلة : :

ـ هذا طبعا اذا كانت لديهم مروحة احتياطية فى المخازن . وفى هذه الحالة يمكنهم ارسالها عن طريق الخطوط الجوية الامبراطورية فتصل فى مدى أسبوع .. أتعلم أنك لم تسألنى حتى الآن ان كنت قضيت ليلة طيبة ؟

وكان عليه أن يختار بين اللهجة اللطيفة وبين الاصرار على التجهم والجفاء .. واختار الخطة الاخيرة :

ـ لم تكن بى حاجة للسؤال ، لان الكابتن « فلبس » اخبرنى

ولمح فى عينيها وميض الغضب لهذا التعريض .. وأدرك أنها تقاوم رغبتها فى الرد عليه ردا عنيفا .. وبعد برهة قالت بهدوء :

ـ ألا تريد حقا أن تجلس ؟

وانقذها وانقذه صوت بوق سيارة فى الخارج .. وأسرع فردينان فوجد سيارة المأمور تقف أمام الباب ، ويتولى قيادتها زنجى .. وخرج من السيارة شاب بدين يرتدى بنطلونا قصيرا أبيض . وكم كانت دهشة فردينان حين عرف فيه « جورج بوديه »

ـ هم اذن قد أرسلوك انت ؟

أما الكابتن « فلبس » فقدم نفسه بدقته المعهودة الى القادم . وكان بوديه فى حالة استياء شديد :

ـ كانت رحلة سيئة للغاية .. ظللنا سائرين طول الليل فى طريق يعج بالحيوانات المفترسة ، فكنا نرى عيونها النارية أمام السيارة عند كل منعطف ، والسائق الزنجى كان أشد ارتياعا وذعرا منى .. وهو سائق ردىء فى الاحوال العادية ... فما بالكم فى مثل تلك الليلة ؟

ـ ولكن لماذا لم يحضر « كوستمانس » بنفسه ؟

فهز « بوديه » كتفيه بازدراء وقال :

ـ انك لم تخبرنى ان هذا الرجل نصف مجنون .. هل تصدق انه بالامس ، وهو أول يوم لى فى العمل أصر على أن أكون فى المكتب فى السادسة صباحا

ولما اقتربت الساعة من الحادية عشرة شرعت أخلع سترتى

www.ibtesamah.com/vb

ورباط عنقى ، فصرخ فى وجهى بلهجته القذرة التى يصطنعها قائلا : « أين تظن نفسك أيها الشاب ؟ ان هذا ليس ملعب تنس ... بل مكتب حكومى »

وصاح فردينان وهو جالس فى الشرفة :

ـ يا « باليجى » .. احضرى بيرة مثلجة الى الشرفة

وبطبيعة الحال لم تكن الليدى ماكنسون تعرف شيئا عن القادم ، فنادت الكابتن « فلبس » .. فخف اليها .. وانتهز « بوديه » الفرصة فسأل :

ـ هل هذا هو الطيار ؟

ـ ولما أجابه فردينان بالايجاب ، خاطب السائق الزنجى باحدى اللهجات المحلية فجاءه بحقيبة أوراق مكتظة بالوثائق .. واحضرت « باليجى » البيرة المثلجة ، فشرب جورج بوديه بنهم .. ثم تنهد قائلا :

ـ ما أسعد حظى ! ان هذه البيرة انقذت حياتى ، لانى كدت أموت عطشا .. والحر شديد ...

وكان يتصبب عرقا .. فلما شرب البيرة ازداد عرقه غزارة . ثم قال وهو يمسح فمه ببطن يده :

ـ عندما وصل العداء ...

ـ وبهذه المناسبة أين هو ؟

ـ لقد نزل فى قرية تبعد عن هنا عشرة أميال قائلا ان له هناك شقيقا يحب أن يزوره .. أقول اننا بمجرد أن وصل رسولكم ابلغنا ستانلى فيل . ويبدو انه منذ بداية الحرب ، لم يتقدم أحد بطلب ترخيص للطيران فوق أراضى الكونغو البلجيكى . وبالتالى لم تصدر السلطات اى ترخيص بالطيران منذ بداية الحرب .. أى منذ عشرين سنة تقريبا !

وسكت « جورج بوديه » . فقال فردينان :

ـ ومعنى هذا ؟

ـ ومعنى هذا اننى مكلف رسميا باجراء تحقيق ، وبأن أمنع الطائرة من التحليق الى حين صدور أوامر أخرى

ـ هذا المنع من أسهل مايكون على كل حال ، لان المروحة مكسورة

www.ibtesamah.com/vb

ـ وقد أعطونى قائمة كبيرة بالاشياء التى أسأل عنها .. فهل فى وسعك أولا أن تخبرنى ان كانت « ليدى ماكنسون » تحمل جواز سفر مستكمل التأشيرات ؟ ويجب أن أتأكد أيضا هل يحملان أسلحة نارية ؟ وفى حالة وجود هذه الاسلحة معهما ، هل صدرت ترخيصات لادخالها فى هذه البلاد ؟

ـ وكيف حال زوجتك ؟

ـ سأمانة .. سأمانة بصورة غير معقولة .. ومتضجرة الى حد الموت . فبالامس ذهبت كما هو الواجب لزيارة مدام كوستمانس .. فماذا تظن مدام كوستمانس فعلت ؟ بعثت اليها رسالة عن طريق الجندى المراسلة تخبرها أنها لا تستطيع استقبالها الآن . وسوف ترسل اليها بدعوة عندما ترى ذلك مناسبا ! . وأنت تعرف « يت » وأحوالها العصبية . فانفجرت تصيح بأعلى صوتها : « كلا ياصاحبة السمو ! لن ترينى هنا مادمت حية »

وصب « بوديه » لنفسه كوبا آخر من البيرة وهو متجهم .. شربه ثم نهض وقال وهو يتنهد :

ـ أظن من المستحسن أن أدخل وأستجوب « ليدى ماكنسون »

ولم يزد فردينان على أن أشار الى باب حجرة النوم المقفل . ثم ابتعد متجها الى شاطىء النهر ليفتش على ماكينة رفع المياه . وكان يتوقع أن يستدعى بعد دقائق الى البيت ، ولكن ساعة كاملة انقضت وهو مشغول فى أعماله .. وكانت أعصابه متوترة للغاية ، لان أى تغيير فى نظام حياته المعتاد يوميا يكون له أسوأ الآثار على مزاجه ، ويكون عرضة للتفوه بأشنع الكلمات والاقبال على أبشع الاعمال ..

وأخيرا سمع صوت « فلبس » ينادى من الشرفة ، وقد أحاط فمه بكفيه . فأسرع الى هناك .. وقال له فلبس :

ـ ان الليدى ماكنسون تريد منى أن أذهب الى نيانجارا بنفسى كى أرسل بضع برقيات .. فهذا المخلوق الذى أرسلوه الى هنا مزود بتعليمات سخيفة جدا ، والليدى ماكنسون تريد أن تبلغ شكواها الى لندن

وفى هذه اللحظة ، انفتح باب حجرة النوم .. وخرج بوديه وقد ازداد تجهمه وارتباكه ، وأومأ بيده الى فردينان كى يتحدث معه على

www.ibtesamah.com/vb

انفراد فى ركن بعيد من أركان البهو ..

ـ انها فى حالة غضب لا يتصوره العقل ! ويبدو أنها من النجوم اللامعة فى مجتمعات لندن . ولكن ماذا أصنع أنا ؟ عندى أوامر محددة

ـ اسمع ! هل رأيت جواز سفر الكابتن « فلبس » ؟

ـ نعم ..

ـ ما شأنه ؟ هل هو مغامر أفاق ؟

ـ انه ليس شيئا من هذا على الاطلاق .. فهو ابن رئيس مجلس ادارة شركة فلبس النيوزيلاندية التى تملك أسطولا من السفن . وقد مر بسفينتنا ونحن قادمون من مرسيليا الى الاسكندرية عدد من سفنهم ..

وتجرع زجاجة كبيرة من البيرة ، قبل أن يركب السيارة فى صحبة « فلبس » الذى أصر على أن يتولى القيادة بنفسه ..

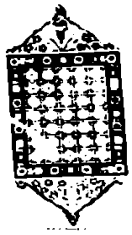

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

www.ibtesamah.com/vb

الفصل السادس

بقايا المائدة

اختفت سيارة الحكومة عن عيني فردينان ، وهو واقف في الشرفة. وكان باب حجرة النوم منفرجا ، فسمع صوت ليدى ماكنسون تناديه :

ـ مسيو جرو ! هل أنت هناك يامسيو جرو ؟

وارتسمت على شفتيه ابتسامة لا ارادية عندما دخل الحجرة ، ودهش لمرآها جالسة على حرف الفراش ، وساقها التى فى داخل الجبيرة ممدودة أمامها كأنها قطعة من الخشب .. فصاح بها :

ـ ماذا تريدين أن تفعلى بحق السماء ؟

ـ تعال وساعدنى .. وادع أيضا مساعدك الشاب

ـ خبرينى أولا ماذا تنوين أن تفعلى ..

ـ أنوى أن أذهب وأجلس معك فى الشرفة .. لقد سئمت هذه الغرفة الحبيسة الهواء ، وأتوق الى الهواء الطلق .. أين ذهب مساعدك ؟

ونادى كميل على عجل .. وحملها الاثنان فيما بينهما الى مقعد كبير مريح من القماش من نوع مقاعد الشواطىء . واستلقت فيه بضع دقائق من غير أن تتكلم ، وقد أغمضت عينيها .. فانتهز فردينان هذه الفرصة كى يدرس وجهها دراسة فاحصة

ومرة أخرى انتابه هذا الاحساس المزعج .. احساس اختلال التوازن ، مع أنه كان ينظر بكل هدوء الى جمال خطيبته الرزين ، أو الى وجه شقيقته الضاحك المراح ، والى وجوه بنات عمه وبنات خاله الحسان

انه شديد الحرص على الاحتفاظ بتوازنه التام عقليا ونفسيا ..

www.ibtesamah.com/vb

ولذا لم يتورط مرة واحدة فى حياته فى عملية مغازلة تطيش صوابه أو تفقده اتزانه . وقد وضح ذلك كله بكل صراحة لخطيبته اميلين، عندما سألته ذات يوم عن علاقاته الغرامية فيما قبل خطبتهما .. فقال بلا تردد :

ـ كلا .. لم تكن لى علاقات غرامية ، وانما هى اتصالات بنساء ممن لهن فى سوق الاجساد ثمن !

لم يكن يخشى الاتصال بأولئك النساء من بائعات الهوى ، لان أمرهن تجارة لا خفاء فيها ، ولا يمكن أن يخشى على توازنه من تأثيرهن ..

أما « ليدى ماكنسون » فكان لها جفنان رقيقان جدا تسمح شفافيتهما برؤية مقلتيها .. بل وبأن يتصور انسانيهما وهى مغمضة العينين .. وأنفها أيضا كان يرتجف رجفة خفيفة . ولم يكن يدرى هل ذلك الارتجاف بسبب المجهود الذى بذلته ، أو انها متألمة ..

وهى على الرغم من نحافتها لم تكن من ذلك الطراز من الفتيات المصابات بفقر الدم ، وقد عرف بعضهن فى فرنسا .. بل كان الناظر يحس لاول وهلة أنها قوية البنية موفورة العافية . وبشرتها التى لوحتها الشمس بسمرة نحاسية تبدو للعين دافئة متوهجة ، كأنها ثمرة ناضجة أو فاكهة تنادى الايدى للقطاف ..

ولكن الذى أذهله أكثر من هذا كله ، هو هذا المزيج العجيب من النضوج ونضرة الشباب فى تلك المرأة . وكان يعلم أن لها طفلين أحدهما فى الثامنة . بيد أن الامومة لم تترك أثرها فيها كما تركت آثارها فى نساء أسرته . وأثار هذا عنده احساسا بالاستنكار .. فمنذ طفولته وهو ينظر الى المرأة ذات الاطفال على اعتبار أنها بمعزل عن الجنس .. لها قداسة خاصة .. فالمرأة حين تغدو أما تزول عنها صفة الانوثة فى نظره ...

ومع ذلك ، لاحظ بالامس أن النور أطفىء فى حجرة نومها فى الحادية عشرة . ولم يغادر كابتن « فلبس » مخدعها الا بعد ذلك بساعات . وتساءل فيما بينه وبين نفسه ، أن كانت تلك الحلقات السوداء المحيطة بعينيها بعض آثار الاجهاد الذى لحقها فى تلك الساعات ...

www.ibtesamah.com/vb

وفجأة سألته ، وهى مغمضة العينين وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة :

ـ ألم تزل ساخطا على غاضبا منى ؟

وقبل ان تفسح له الوقت للاجابة ، فتحت عينيها وهزت شعرها الذهبى المحمر ، وقالت وكأنها أفاقت من حلم :

ـ آسفة جدا ! فليس من عادتى أن اغضب وافقد أعصابى . ولكن هؤلاء الموظفين فيهم سخافة وتفاهة مثيرة للغضب .. ولست أريد الخوض فى هذا الامر ، فان « فلبس » قد ذهب على كل حال الى نيانجارا لتسوية هذه المسائل مع لندن . وغدا سيتلقنون من حكومتهم درسا يوقفهم عند حدهم ... أعطنى سيجارة من فضلك !

وراقبته وهو يحضر اليها علبة سجائر مصنوعة من البلاتين ، وسألته :

ـ ألا تدخن مطلقا ؟ .. ولا تشرب الخمر أيضا ؟ أعتقد فى هذه الحالة أنك لا يمكن أن تغفر بسهولة هذا الضعف البشرى ، ولاسيما لدى النساء ! .. انك تبغضنى .. أليس كذلك ؟ كن صريحا !

ـ انك مخطئة فى هذا الظن خطأ جسيما يا « ليدى ماكنسون »

ـ كم أنت جاد ! اجلس وحاول ألا تمثل دور المزارع المثالى الذى لايستطيع أن يفكر فى شىء سوى فى اشجار البن العزيزة عليه . الك مدة طويلة هنا ؟

ـ ست سنوات

ـ عشتها كلها بمفردك ؟

ـ هناك « كميل »

ـ انه شاب فاضل .. ولكنى لا أعتقد أن صحبته كافية لتبديد الوحشة . ماذا تصنع طول النهار ؟

فأشار بيده الى المزرعة والى الفيلة التى تعمل عند سفح التل والى أبنية المكتب والمخازن والورش على شاطىء النهر ..

ـ هذا فقط ؟

ـ واقرأ قليلا ..

ـ وهل كتبك ومزرعتك كافية لاشعارك بالسعادة ؟

ـ نعم ..

www.ibtesamah.com/vb

قالها بكل بساطة وبايمان تام ، فنظرت اليه بمزيد من الاهتمام الذى يمازجه شيء من العجب ..

ـ أتعنى هذا حقا وصدقا ؟

ـ نعم ..

ـ ولا تريد مزيدا على هذا من دنياك ؟

ـ كلا ..

ـ ولا الحب مثلا ؟

ـ خطيبتى ستحضر بعد ثلاثة أشهر .. وسوف نتزوج

وكان يتعمد الا تلتقى عيناه بعينيها ... حتى لا تستشف طوايا أفكاره واحساساته ...

ـ اذن ليس حقا ما قلته الان .. فهأنتذا تريد شيئا آخر

وأوشك أن يقول لا .. ولكنه تماسك فى اللحظة الاخيرة . فالحقيقة أن مايصبو اليه قبل كل شيء هو الهدوء واستقرار الحياة ورتابتها . ولكن قدوم هذه المرأة قد أخرجه عن مسار حياته المعتاد .. بيد أنه واثق أنه سيعود الى ذلك المسار ويستقر عليه ..

واذا كان قد وطن النفس على الزواج من « اميلين » ، فلاقتناعه بأنها ستتلاءم تماما مع اطار حياته كما رسمها . وفى الوقت نفسه شعر شعورا واضحا بأنه غير راغب فى أن تكون « اميلين » معه فى الوقت الحاضر ...

وبعد برهة صمت ، قالت ليدى ماكنسون :

ـ أنا مستعدة للمراهنة على أن خطيبتك من بنات عمك ، أو أنها فتاة كنت تعرفها منذ طفولتك

والواقع أنه كان يعرفها منذ طفولته ، وأنها تكاد تكون من بنات عمومته ، فبين الاسرتين صلات مصاهرة متعددة

وسألها :

ـ وما الذى يجعلك موقنة من هذا ؟

ـ هكذا لابد أن يكون الحال ... بالنسبة لك

ـ ولكن لماذا ؟

ـ ياله من سؤال ! سيجارة أخرى من فضلك .. أنا واثقة ان الفتاة التى ستتزوجها لا تدخن ... وترى ماذا كان كميل يقول لو

www.ibtesamah.com/vb

انه فتش قمرة الطائرة عقب سقوطها ؟

ـ وماذا كان حريا أن يجد ؟

ـ يجد غليونين لتدخين الافيون ، ونصف رطل من هذا المخدر. ولكن هذا طبعا شيء بعيد جدا عن تصورك ! وبالامس عندما حضرت أنت كنت أنا « وفلبس » ندخن الافيون .. ولكنك لم تتعرف على الرائحة

ـ ولكن ما الداعى لتدخين الافيون ؟

وهزت كتفيها ، وقالت :

ـ لا داعي على الاطلاق ...

وظلت طيلة الدقائق الخمس التالية جالسة فى صمت ، تنظر الى الافق الممتد فيما وراء النهر . ثم قالت :

ـ الك أن تأتينى بحقيبتى ؟ انها تحت الوسادة ..

وكانت حقيبة يدها مصنوعة من جلد التمساح .. ولها مقبض من العقيق محفور عليه شعار النبلاء . واستخرجت من داخلها شيئا وقالت :

ـ انظر !

ورأى صورة طفلين .. أحدهما فتاة فى الثامنة ، والاخر غلام فى الثالثة من عمره ، يقفان عاريين تماما فوق شاطىء مشمس

ـ لقد أخذت هذه الصورة فى السنة الماضية فى مصيف ثرابيا .. فالسفارة مقرها أنقره فى الشتاء ، أما فى الصيف فنتحول الى ثرابيا بالقرب من اسطنبول .. هل تعرفها ؟

ـ كلا ..

وساد الصمت مرة أخرى .. وظلت ممسكة بالصورة كأنها لاتدرى ماذا تصنع بها . وأخيرا دستها فى الحقيبة ، وأغلقتها بحدة ، وقالت :

ـ أنت شخص منقبض المزاج

ـ لست كذلك فى الحقيقة ..

ـ اذن ماذا أنت ؟

ـ لست شيئا معينا !

ـ اسمع .. هل تعتبر من الاهانة لك لو أنى أطلب منك شيئا

www.ibtesamah.com/vb

خارجا عن المألوف ؟

ـ اسألى !

ـ أود أن أرى فتاتك الصغيرة السوداء ..

وبمنتهى السرعة نهض قائما ، وصاح وهو مشيح عنها :

ـ باليجى ! باليجى !

ومرت دقائق من غير صدى .. حتى كاد الاثنان يظنان أنها سوف لا تأتى . واذا بها تقبل فتقف بالباب على استحياء فى ثوبها الابيض ذى النقط الزرقاء . وقد ارتفع مقدم الثوب الشفاف بفعل الثديين الصغيرين النافرين . وألقت باليجى نظرة توسل على سيدها .. فقال لها باللغة المحلية :

ـ لا تخافى شيئا .. فأنت فتاة صغيرة لطيفة

وجعلها هذا الثناء تبتسم ، وترمق المرأة البيضاء بنظرة خاطفة وسألته ليدى ماكنسون :

ـ أهى تتكلم الفرنسية ؟

وأجابتها باليجى بنفسها قائلة :

ـ أتكلمها شيئا ما ياسيدتى

ـ هذه مهارة منك ياباليجى ! والآن اذهبى الى حجرتى واحضرى زجاجة الويسكى وترموس الماء المثلوج

وأمن فردينان على الامر بايماءة خفيفة ، فأسرعت الفتاة تجرى بخطوات رشيقة أشبه بالرقص ، وان كانت لا تدرى بالضبط لماذا تشعر بكل هذه السعادة

وقالت ليدى ماكنسون ، بعد انصراف الفتاة :

ـ فتاة لذيذة

ثم صبت لنفسها قدحا من الويسكى ، وهى تقول :

ـ أظن أنه لا فائدة من تقديم كأس اليك ؟

ـ كلا وشكرا ..

ـ فيم تفكر ؟

ـ فى مزرعتى

ـ هذا ادعاء منك !

ـ أؤكد لك اننى كنت افكر فى تعديل التعريفة الجمركية لحماية

www.ibtesamah.com/vb

انتاجنا من البن ..

ـ أظنه يسعدك كثيرا أن أفارق بيتك

ـ بل ستقيمين طوال الوقت اللازم لترتيب أمورك وشفائك

ـ أظن « فلبس » وصل الآن الى نيانجارا ؟

ـ لا أظن هذا .. لابد له من ساعة أخرى على الاقل لان الطريق ردىء

ـ أيوجد كثيرون من الاوربيين فى تلك المنطقة ؟

ـ أربعة فقط .. المأمور ، ومساعده الذى كان هنا ، والطبيب الذى يقضى معظم وقته فى الطواف ، ومبشر الارسالية الذى يطوف قرى السود على دراجته البخارية

ـ وهل تذهب الى نيانجارا كثيرا ؟

ـ مرة فى السنة على الاكثر ..

ـ ومزرعة الفيلة ؟ .. هل تزور الميجر كروسبى ؟

ـ لا أزوره الا حين يكون فى نيتى ان أبتاع فيلا . أو أطلب مشورته بشأن فيل مريض .. وجملة المرات التى زرته فيها فى هذه السنوات الست ثلاث زيارات

ـ ألا يزورك أحد ؟

ـ نادرا .. مرة أو مرتين فى العام ، يهبط ضيف مفاجىء

ـ ضيف ثقيل مثلنا يجليك عن حجرة نومك ؟

ـ هذا شىء لا أهمية له .. فانى متعود على النوم فى السرير « السفرى »

ـ وهل تجنى مالا وفيرا هنا ؟

ـ لقد أنفقت أربعمائة ألف فرنك فى هذه المزرعة .. ولكن اذا حالفنى الحظ سأستردها فى الوقت المناسب

ـ وهل أنت حريص على هذا ؟

ـ على ماذا ؟

ـ على تكوين ثروة كبيرة ؟

ـ كل ما أنا حريص عليه هو انتاج البن وبيعه ، خصوصا اذا استطعت أن أحصل لانتاجى على الرتبة «ب»

ـ يعنى ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ هذا موضوع يطول شرحه

ـ متشكرة !

ـ أعنى أنى أخشى أن أضجرك

وفى هذه اللحظة رن جرس . فأجفلت ليدى ماكنسون وهتفت :

ـ زائر ؟

ـ كلا .. انه الغداء .. والكابتن « فلبس » رحل قبل أن يتسع له الوقت لاعداد طعامك .. فاذا لم يكن لديك مانع ، تفضلى بمشاركتنا طعامنا على علاته ..

فرمقته بنظرة تحد .. ومن غير أن تفكر فى ساقها ، تحركت لتنهض

ـ انتظرى .. سنحملك فى مقعدك الى المائدة .. تعال احمل الليدى معى يا كميل

وكانت المائدة مغطاة بمفرش به مربعات حمراء وبيضاء ، وفى وسطها وعاء للحساء ، وقال فردينان :

ـ اننا نتناول الحساء مرتين فى اليوم تجنبا لاستخدام الاطعمة المعلبة .. فهل تحبين أن تجربى حساءنا ؟

وأجالت ليدى ماكنسون نظرها فى البهو الرطب .. ثم قالت :

ـ هل أنت الذى وضعت تصميم البيت ؟

ـ نعم وأنا الذى بنيته أيضا .. كنت البناء والسباك والكهربائى .. وهل ألقيت نظرة على مكتبتى ؟ أنها عبارة عن دائرة المعارف الخاصة بالتدبير المنزلى ، وتبسيط الكهرباء ، وهندسة البيوت الريفية !

وابتسمت الليدى ماكنسون لهذا التهكم ، ثم سألت :

ـ هل لديك جهاز لاسلكى ؟

ـ لدينا جهاز للاستقبال ، ولكننا لا نستخدمه مطلقا . وهو موجود فى أحد المخازن على شاطىء النهر فيما أظن .. ولا بد أن الرطوبة قضت عليه

ـ وهل تصلكم صحف ؟

ـ مرة كل ستة أسابيع .. عندما يصل بريد أوربا ، فشقيقتى ترسل الى بالجريدة المحلية بعد أن تقرأها ، وبهذه الوسيلة أتابع

www.ibtesamah.com/vb

أنباء الزواج والوفيات فى بلدتنا

ـ ان هذا الحساء جيد جدا .. هل فتاتك السوداء هى التى صنعته ؟

ـ نعم ..

وكانت باليجى أيضا هى التى قدمت على استحياء طبقا من السمك المسلوق مع البطاطس المحمرة . وأخيرا قال فردينان :

ـ ان كنت تحبين المانجو فهذا موسمها ..

ـ كيف لا أحبها ، وقد نشأت فى الهند ، وعشت فى امريكا الجنوبية واستراليا ونيوزيلنده .. هلّ ذهبت الى نيوزيلنده ؟

ـ كلا ..

ـ هذا هو وطن « فلبس »

ـ أعلم ذلك .. وأعلم أيضا أننا سنحظى بزيارة من الميجر كروسبى قبل انقضاء هذا اليوم

ـ وماذا يحملك على هذا الظن ؟

ـ لان الكابتن « فلبس » سيتحدث اليه تليفونيا من نيانجارا . وسيذهب كروسبى الى هناك فى سيارته ويأتى به الى هنا . ومن عادة كروسبى أن يقطع بسيارته ستين ميلا فى الساعة مهما كانت حالة الطريق . ولا يقف أثناء الرحلة الا اذا رأى شيئا يستحق أن يصطاده

وأخذت الحرارة تشتد مع تقدم الظهيرة .. وسكن الهواء ، فلم تكن هناك نسمة تحرك ورقة من أوراق الشجر ..

وبتأثير حضور الليدى ، لم يأكل كميل الا نصف ما تعود أن يأكله فى العادة .. وسألها فردينان :

ـ هل تتناولين القهوة بعد الغداء ؟

ـ انها تحرمنى من النوم لو تناولتها .. وأنا أحب النوم بعد الغداء

وأتت بحركة كأنها تريد أن تنهض ، فأسرع فردينان الى جوارها قائلا :

ـ هيا يا كميل ساعدنى

ـ انى آسف لتكبيدكما هذه المشقات .. وأرجو أن تحملانى الى فراشى

www.ibtesamah.com/vb

ولما وضعاها فوق الفراش انسحب كميل . وظهر التردد على وجه فردينان لان خيوطا من الضوء الشديد كانت تتسرب من فروج النافذة وتسقط على الفراش . وقالت له الليدى ماكنسون باعياء :

ـ ألا يمكن أن تمنع هذا الضوء تماما ؟

وخيل اليه أن أعصابها فى منتهى التوتر .. وقضى وقتا أطول مما ينبغى فى سد منافذ الضوء بالستائر ، حتى اذا انتهى من ذلك كان الضوء الوحيد ينفذ من تحت الباب الذى أغلقه كميل عند خروجه . ولاحظ فردينان وجود نحلة صغيرة تطن فى جو الغرفة الساكن .. فاقترب من الفراش ، وقال بصوت أجش :

ـ أتريدين أن أقتلها ؟

وضحكت بصوت أجش هى أيضا ، وهى تمد ذراعيها لتطوق عنقه وتجذبه الى الفراش .. واختلطت ضحكاتها العصبية ، وهى تقبله فى نهم ، برنين الآنية التى كانت تجمعها باليجى مع بقايا الطعام من فوق المائدة

www.ibtesamah.com/vb

الفصل السابع

إليك عنى !

من عادة فردينان جرو ، منذ جاء الى افريقيا ، أن يسجل فى يومياته أهم أحداث كل يوم يمر به . وفى موعد البريد كل عشرة أيام ، يرسل ما يسجله على صورة خطاب الى أمه . وارسال الخطاب يكلفه رحلة طولها خمسة وعشرون ميلا بالسيارة ، كى يصل الى موضع التقاء طريقه الخاص بالطريق الرئيسى ، حيث ثبت صندوق خطابات فى شجرة كبيرة . ولهذا الصندوق مفتاحان أحدهما مع فردينان ، والاخر بيد سائق الاوتوبيس الذى يتولى حمل الخطابات الى بوتى . ومن هناك يتولى سميث صاحب الفندق حمل الخطاب الى نهاية خط سكة حديد السودان .. فمن عادة سميث أن يذهب الى ذلك الموضع مرة كل أسبوع لتلقى البضائع الواردة اليه من الخرطوم

ويحتوى المظروف فى العادة على أكثر من عشر ورقات مكتوبة بخط دقيق على ورق رفيع مما يستخدم فى المراسلات الجوية ..

وفى هذه الخطابات ، كان يحدثها عن نفسه وعن كميل .. وكثيرا ما قال عن كميل أنه يعانى من حالات نفسية غامضة . وهو فى الغالب شاب دمث سلس القيادة متواضع ، حريص على تجنيب مخدومه جميع أنواع المتاعب . ولكن بين عشية وضحاها ، تنقلب حاله الى الاعراض والخشونة فى الكلام بغير سبب ظاهر

وبعد تكرر تلك الحالات ، دون فى خطابه الى أمه التفسير الذى خطر بباله .. قال لها :

ـ قد يبدو هذا الفرض سخيفا .. ولكن يغلب على ظنى أنه التعليل الوحيد لأطواره الغريبة .. انها نوبات من الغيرة تنتابه

www.ibtesamah.com/vb

وفردينان شديد الشبه بأمه قلبا وقالبا .. ولذا كانت تفهمه بأوجز اشارة وعلى أتم وجه ...

ـ ولعلك تتساءلين مم يغار ؟.. انها الغيرة وكفى .. الغيرةالتى تتخذ موضوعات متغيرة تنفس بها عن طاقة الحسد الكامنة

وكانت أول موضوعات ذلك الحسد أو الغيرة هى الفتاة السوداء ماليبانجا .. وهى أول مديرة بيت اقتناها فردينان ، وتخلص منها بعد مدة فتزوجت وأنجبتعدة أطفال . وكان اختياره لها غير دقيق لانه كان حديث عهد بالبلاد وبحاجة الى مديرة بيت .. ولم يكن جمالها فوق المتوسط ، ولذا تخلص منها بمجرد عثوره على الصغيرة المليحة باليجى

ورغم عطل ماليبانجا من الجمال وضيقه بها لاحظ أن كميل يميل اليها . وتحير فردينان فى تفسير ذلك لأن تحت يد كميل من الفتيات العاملات فى المزرعة من هن أملح منها بكثير ، وفى استطاعته أن ينتقى لنفسه منهن من يشاء كما هى العادة المألوفة بين جميع الاوربيين فى تلك البلاد

وبعد « تسريح » ماليبانجا وقدوم باليجى ، نقل كميل هواه اليها بغير مقدمات . ولم يكن هذا الامر مجرد مصادفة .. بل الحقيقة أن كميل كان عاجزا عن أن يختار لنفسه شيئا بذوقه الخاص . ولهذا يعتمد على اختيار ما يحلو لذوق فردينان .. ثم أن كميل كان يتلذذ بالانطواء على حقد خفى نحو مخدومه الذى يحبه فى الوقت نفسه ..

وفى ذلك المساء ، أضاف فردينان فقرات جديدة الى يومياته التى يسطرها مخاطبا أمه :

« ١٨ من مايو ـ أعتقد أنك طالعت فى الصحف أن طائرةانجليزية اختفت أثناء تحليقها فى سماء الكونغو البلجيكى ، وبها الليدى ماكنسون وكابتن فلبس ، وقد وجدتهما هنا عند وصولى .. واذا هما قد احتلا دارى احتلالا « انجليزيا » نموذجيا ! فالليدى ماكنسون التى أصيبت فى ركبتها استولت على فراشى وحجرة نومى . واستولى الكابتن فلبس على حجرة نوم كميل . ويبدو على الانجليزيين أنهما يعتبران هذا الوضع طبيعيا جدا ! وأن منالطبيعى

www.ibtesamah.com/vb

أن أقام أنا وكميل على سريرين سفريين فى البهو .. والمسكين كميل يعانى بسبب وجودهما احساسا شديدا بالنقص لترفعهما الطبيعى عليه ، ولسبب آخر أيضا .. فالمسكين كميل قضى من عمره عشر سنوات فى دراسة اللغة الانجليزية . ولكنه عندما يكلم بها ضيفينا ، لا يفهمان من كلامه حرفا واحدا . وأنا أتعشم أن يرحلا غدا من هنا، فنحن فى انتظار أنباء من نيانجارا »

وفى الصفحة التالية كتب ما يأتى :

« جاء لزيارتنا الميجر كروسبى صاحب مزرعة الفيلة .. وطلب الانجليز الثلاثة منى الاذن فى التحدث باللغة الانجليزية على مائدة العشاء . ويبدو أننى أتكلم الانجليزية من غير لكنة أجنبية . وقد تقرر أن تبقى ليدى ماكنسون الى أن تصل المروحة التى طلبتها من انجلترا . ولكى أجد فراشا مريحا أنام فيه تقرر أن يذهب « فلبس» للاقامة عند ميجر كروسبى . وسيضع الميجر سيارته تحت تصرفه كى يأتى الى هنا كل يوم . والامطار قد توقفت مؤقتا ، والحرارة تشتد .. ولكن لابد أن تعود الامطار للهطول قريبا »

وكان فردينان وهو يكتب هذه السطور فى حجرة النوم التى أخلاها فلبس يشعر بارتجافة مثل ارتجافة الحمى ..

وكان الميجر كروسبى قد جاء فى الساعة الخامسة بسيارة السباق التى كانت وهى جديدة منذ خمسة عشر عاما محط أنظار أهل لندن .. فشكلها أشبه بقذيفة الطوربيد ، وهيكلها من الالومنيوم البراق ، وهدير محركها يسمع على مسافة ميل على الاقل

وعند وصوله كان فردينان يذرع شاطىء النهر جيئة وذهابا ، وهو يحاول تهدئة أعصابه .. وتجاهل وصول الضيف ، وحاول أن يتشاغل بمداعبة فرس البحر الى أن جاءه كميل ، وقال بانقباض :

ـ جاء الميجر .. فماذا تريدنى أن أصنع ؟

ـ ساعد باليجى فى اعداد عشاء كاف للجميع

ـ وأنت ؟

ـ سأعود بعد قليل ..

ـ وماذا أقول لهم ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ قل لهم أنى مشغول فى هذه الساعة ..

وكان كميل من الغباء بحيث لم يدرك حاجة فردينان للانفراد بنفسه فى هذه اللحظة . وانشغل باله بما يبدو على مخدومه من احتقان فى الوجه واحمرار فى العينين ، كأنما كان يبكى منذ قليل .. فقال له بحنان :

ـ هل تشعر بضيق ؟

ـ اذهب عليك اللعنة من وجهى !

ولم يكن قد خاطب كميل بهذا العنف من قبل .. ولكن أعصابه كانت فى حالة يرثى لها . وما أن ابتعد كميل قليلا حتى صاح به :

ـ كميل ! هل رأيتها ؟

ـ من ؟ أتعنى الليدى ماكنسون ؟ نعم رأيتها وساعدت الكابتن فلبس فى حملها الى ألبهو ..

ـ وماذا قالت ؟

ـ لا شىء ..

ـ وكيف كانت تبدو ؟

ـ كمألوف عادتها تماما ..

ـ اذهب الان اذن ..

وراح فردينان يتساءل عن كنه شعوره .. هل هو سعيد أو مبتئس . وغلب على ظنه أن شعوره مزيج من الحالتين ، بيد أن الابتئاس فيه أكثر من السعادة . وسخط على نفسه لتراخيه وعدم حزمه بحيث اختل توازن أعصابه وكأنه مريض حقا .. وانتابه نوع من الغثيان وهو ينظر الى سقف داره الاحمر

لم يستطع أن يفكر فى شىء سواها .. فهاهو ذا أخيرا أمام امرأة ليس لها من صفة سوى أنها امرأة .. وليس لعناقها طعم سوى أنه عناق انثى كعناق أى أنثى سواها . فأى مبرر اذن لأن يهتز كل هذا الاهتزاز لحادث عارض لا معنى له ولا أهمية ؟ لماذا يدع هذا يقضى على طمأنينة نفسه ، ويفعم وجدانه بأخيلة وأفكار يحمر لها وجهه ، ويتألم وهو يشتاق اليها فى التياع بدلا من أن يأخذها أخذ الرجل القوى المالك لزمام نفسه كسابق عهده ؟

لقد مرت به لحظات ظن فيها أن حياته كلها قد تغيرت بهذا الحادث ..

www.ibtesamah.com/vb

حياته تغيرت بسبب ماذا ؟

بسبب ساعة قصيرة من رغبة عمياء ونزوة طائشة خالية من كل معانى الجمال ، حافلة بكل بشاعة الشهوة وقبحها !

كانت تراوده نفسه أن يضرب صـــــدره بيده .. فلابد له من التحكم فى أعصابه والنظر الى الامور بعين التعقل والهدوء ..

لقد حظا بساعة غرام مع الليدي ماكنسون .. ثم ماذا ؟

لقد انتهى الامر وحدث ما كان لابد أن يحدث .. ومن السخف أن يخالجها أن تعلق على هذا أهمية خاصة ! انه لا يعدو فى نظرها أن يكون حادثا عارضا من الاحداث المعتـــادة فى كل يوم .. فهى امرأة متزوجة ولها طفلان ، ولها أيضا مرافق شاب يلازمها على الدوام .. فالارجح أن الذى حدث بينها وبينه لا يعنى عندها شيء سوى مجرد التقـــاء رجـــل بامرأة ، ثم يمضى كل منهما فى وجهته لا يلوى على شيء

وفجأة دار على عقبيه ، ويمم وجهه شطر الدار وقد استرد ــ أو وهم انه استرد ــ رباطة جأشه وهدوء تفكيره .. ولكنه كان فى أعمـــاقه مشغولا ، بل متلهفا على أن يراها ليعرف هل غيرها ذلك الذى حدث كما غيره ، وزلزلها كما زلزله ؟

انها منذ هنيهة ، حين كانت بين ذراعيه ــ أو كان بين ذراعيها ــ أظهرت من قوة الانفعـــال وجمـــوح الهوى ما أدهشه وأوشـــك أن يفزعه . فلم يكن يتصور على ضوء تجاربه المأجورة مع النساء ان امرأة من طرازها وطبقتها يمكن أن تفقد كل سيطرة لها على نفسها وهى بين ذراعى رجل بهذه الصورة

فى بعض لحظات ذلك الاوار المحتدم من الهوى ، كانت تبـــدو له وكأنها صبية صغيرة تلوذ بصدره . وتحير فى أمر شهقاتهـــا ... هل كانت صيحات يطلقها حيوان ، أو ابتهاجا يطلقه طفل بريء جذلان ؟

وزاد فى دهشته وفزعه تلك الكلمـــات التى كانت تخرج من بين شفتيها المترفعتين ، وتبدو طبيعية جدا على لسانها ، وهى أبعد ما تكون ــ فى تصوره ــ عن ثقافتها ونشأتها .. كلمات الانثى طليقة

www.ibtesamah.com/vb

من كل اسار ، خالعة كل عذار ، مسقطة لكل احتشام واعتبار .. سوى أشواق أتوثتها الفطرية ..

ولم تزل أصداء تلك الكلمات ترن بنبراتها الاجشة فى أذنيه الذاهلتين ، وهو يأخذ نفسه بالتمهل فى مشيته الى الدار ذات السقف الاحمر ، حيث يلقاها مع مواطنيها .. وقد لمحهم جالسين فى الشرفة وعيونهم تترصد حركاته

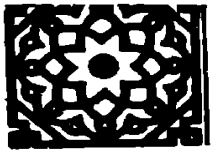

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثامن

ثبات

وثب الميجر كروسبى من موضعه ، وهبط درج الشرفة ليحيى فردينان ويضربه على ظهره فى مرح مع رفع للكلفة :

ـ مرحى أيها الوغد العجوز فردينان ! هل تمتعت بأجازة طيبة ؟ يا لك من كلب ماكر ! أهكذا تخفى عندك السيدات الفاتنات فى قلب الغابة ؟ لم أكن أظن بك هذا !

انها تبتسم له ! انهـا تنظر الى جهتـه والسيجارة المشتعلة فى فمها باسمة ، مستريحة البال .. ابتسامة مضيفة ترحب بضيف تتوقع قدومه ، لا أكثر ...

وألقى فردينان نظرة قاسية على « فلبس » الجـالس بجوارها حين قال :

ـ لقد دعانا مساعدك للعشاء .. وسمعت أننا سنأكل بطة سمينة

وسمعها تقول له بصوتها الهادىء الرخيم !

ـ ألديك مانع من اصـدار الامر باعـداد بيضتين مقليتين لى يا فردينان ؟ فأنا لا آكل الدواجن ..

وجاء خطابها له بهذه البسـاطة المجـردة قائلة يا « فردينان » بصورة طبيعية جدا حتى أن « فلبس » نفسه لم يفهم ما وراء ذلك

وبعد برهة كانت تتكلم عن الطائرة .. وأخذت تعتذر لحديثها بالانجليزية قائلة :

ـ أرجو ألا يضايقك هذا .. ولكن الميجر يتكلم الفرنسية بلجهة فظيعة للغاية ...

وكان « فلبس » قد أحضر لهـا برقية مرسـلة من زوجهـا .. قرأها بصوت مرتفع على الجميع :

www.ibtesamah.com/vb

ـ قلقت جدا .. ارسلى أخبارك يوميا .. الاطفال بخير .. أبرقى عند العودة .. محبتى ... رونالد

ولم يظهر عليها أى تأثر عاطفى ، بل أخذت تسأل عن أنباء المروحة فاضطر فلبس الى أن يعيد على مسامعها البرقية التى أرسلها الى لندن كلمة كلمة ، وأن يذكر لها جميع الخطوات التى اتخذها لتسوية مسألة جوازى السفر بكل تفاصيلها ...

وبدأ الليل يهبط .. وأخذ الانجليز يشربون الويسكى . وكان أشدهم اقبالا على الشراب هو الميجر كروسبى .. يشرب وهو صامت غالبا ، وعيناه تنظران نحو التلال البعيدة . وبين الحين والحين كانت « الليدى ماكنسون » تلتفت لتلقى نظرة على فردينان الذى أعجزه أن يجد أى معنى خاص فى عينيها .. ولم يكن يبدو عليها أدنى أثر للتعب والاجهاد ...

وفجأة سمع صوتها تقول له :

ـ أسامع أنت يا فردينان ؟

ـ آسف !.. لم أكن مصغيا ..

ـ هل كنت محلقا بفكرك بين السحب ؟ .. لقد كنت أقول الان اننا لا يمكن أن نتركك تنام فى سرير سفرى .. ولهذا سيذهب جيمى الليلة مع الميجر الى مزرعته ...

وتساءل بينه وبين نفسه لماذا لم تقترح أن تذهب هى أيضا مع جيمى ؟ انها اذن تريد أن تبقى وأن يخلو لها الجو معه .. وسمعها تستطرد قائلة :

ـ ان لم يكن فى وجودى ازعاج لك ، فسوف أبقى الى أن تتحسن حالة ساقى .. وفى استطاعة جيمى أن يستخدم سيارتك يا مستر كروسبى كى يحضر للاطمئنان على ...

واشتدت حيرته ، فان كانت هذه حقا حيلة منها كى تنفرد به فى الليالى القادمة على الاقل .. فلماذا لا تجعله يفهم هذه الرغبة من جانبها ، بنظرة خاصة أو نبرة فى صوتها ؟.. ولكنها كمألوف عادتها تماما ، كأن شيئا لم يحدث بينهما على الاطلاق !

وكانت باليجى تعد المائدة ، وكميل يروح ويجىء متهيبا أن يأتى لينضم الى المجموعة .. فناداه فردينان ، والتفت الى كروسبى قائلا :

www.ibtesamah.com/vb

ـ لا أظن أنك التقيت بكميل من قبل .. انه مساعدى .. وصديق لى قديم جدا .. منذ الطفولة

ـ أهو يتكلم الانجليزية ؟

ـ انه يفهمها فهما تاما ..

والواقع أن هذا السؤال لم يكن له داع ، لان الانجليز الثلاثة شرعوا يتناقلون الحديث فيما بينهم بلغتهم ، وكأن الفرنسيين غير موجودين .. واستمروا يشربون الويسكى بافراط أثناء تناول الطعام . وأدهش فردينان أن يرى ليدى ماكنسون تشرب بهذا الافراط . ودارت أحاديثهم عن أشخاص وأحداث لايعرفها سواهم .. وفجأة سأل الميجر :

ـ هل قطعت الاسرة علاقتها بك يا « فلبس » ؟

فابتسم « فلبس » وقال :

ـ بل أعطونى مهلة ثلاثة أشهر أخرى ..

وكان المعروف أن « فلبس » هو الوريث المنتظر لبيت فلبس المشهور الذى يتزعمه ويدير ثروته الضخمة أخوان رجعيان .. أحدهما لم يتزوج ، أما الاخر فلم ينجب الا ولدا واحدا هو جيمى فلبس . ولكنه يرفض باصرار أن يشتغل بالتجارة والاعمال المالية

ـ ألا يسددون لك الان ديونك ؟

وأجابت ليدى ماكنسون :

ـ بعضها فقط ..

وشعر فردينان بضيق غامض لانها تعرف أسرار حياة فلبس الخاصة ، الى أن سمعها تستطرد :

ـ فكرت فى البداية أن أسجل طائرتى باسمه لانى لم أحصل بعد على أجازة الطيران .. ولكن بعض أهل الخير حذرونى قائلين أن دائنى « فلبس » سيوقعون عليه الحجز فى تلك الحالة فورا

وكانت تنظر الى المسألة على أنها نكتة .. وكذلك « فلبس » !

وكان كميل يحاول باستماتة أن يتابع خيوط الحديث .. وسأل الميجر الليدى ماكنسون :

ـ هل عدت الى جاوا ؟ وهل سمعت شيئا عن ذلك الهولندى القصير القامة الذى أضحكنا كثيرا ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ انه يرسل الى بطاقة بريد بين الحين والحين ..
ـ وهو فيما أعتقد أحد ضحاياك .. أليس كذلك ؟

واحمر وجه فردينان احمرارا شديدا ، اذ خطر له أنه ربما كان شبيها فى حياة الليدى ماكنسون بذلك الهولندى المضحك . ولكن هل نالها ذلك الهولندى أيضا ؟ وهل هو مثله من ضحايا سحرها وهواها ؟

وعندئذ سمع الليدى ماكنسون تخاطبه قائلة :
ـ ما خطبك ؟ هل تشعر بالسأم من حديثنا ؟
ـ كلا .. بل أظننى مصابا بشىء من الملاريا !
ـ اذن يستحسن أن تذهب الى فراشك ..

هكذا اذن تنظر اليه ! هاهى ذى ترسله الى فراشه كى تستمتع استمتاعا كاملا بصحبة مواطنيها .. بنى بيئتها الاجتماعية اللذين يعتبرانه دخيلا على المجلس والسمر !

وقال له الميجر كروسبى :
ـ متى تنوى أن تأتى لزيارتى ؟ ان عندى فيلة .. أنثى صغيرة ممتازة أريد أن أبيعك اياها ان كانت لك رغبة .. انها جميلة رائعة ! فعندما تدرك موسم اللقاح أطلقها فى الغابة . وفى العام الماضى جاءتنى معها بذكرين شابين فى عنفوانهما ، أسلما نفسيهما للقيود والسلاسل من غير مقاومة حبا فى سواد عينيها .. ومن الممكن أن أبيعك اياها بخمسين ألف فرنك .. فما رأيك ؟
ـ سأفكر فى الموضوع

ونظر الميجر نحو « فلبس » وقال :
ـ أظن أنه من المستحسن أن ننهض الان

فهتفت الليدى ماكنسون قائلة :
ـ بل انتظرا ! هل لك يا « فلبس » أن تنقلنى الى حجرتى قبل انصرافك ؟ فأنا مقعدة مسكينة لا حول لى . لا تنس هذا !

وحملها فردينان و « فلبس » الى الفراش .. وعند انصراف « فلبس » انحنى فوق يدها وطبع قبلة مهذبة رسمية .. وسألته :
ـ هل ستأتى غدا ؟
ـ طبعا .. ان أقرضنى الميجر سيارته . أليس كذلك ياجرو ؟
ـ كذلك ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ طاب ليلك وأحلاما سعيدة !
ـ طاب ليلك ..

وشعر فرديناند بالحيرة والارتباك ، فبدأ يتجه نحو الباب وهو يغمغم :

ـ طاب ليلك ياليدى ماكنسون ..
ـ طاب ليلك يا فرديناند ..

ووقف فى الشرفة يرقب الانجليزيين وهما ينطلقان بالسيارة ، ويلوحان له بمرح و « فلبس » يصيح :

ـ الى الغد أيها الصديق !

وتلاشى هدير محرك سيارة الميجر فى الظلام .. ودخل فرديناند الى البهو ، فوجد كميل يقول له متأففا :

ـ أنا لا أطيق الانجليز !
ـ صه !

ولم يكن هذا التحذير ضروريا لأن باب حجرة النوم مغلق ، فلم يكن ممكنا أن تسمع ما يقولان ..

ـ أينويان البقاء هنا طويلا يا سيدى ؟
ـ ليست عندى أدنى فكرة ..

وبغير مناسبة ظاهرة ، قال كميل فى خبث الفلاح الماكر :

ـ لقد ظلت باليجى تبكى طيلة بعد الظهر ..
ـ لماذا ؟

ولم يجب كميل ، وترك السؤال معلقا ..

وكان على كميل أن يحتفظ بسريره « السفرى » فى البهو لينام وحده هناك .. فانصرف الى تسوية الفراش بيده ، ثم قال :

ـ طابت ليلتك ..
ـ طابت ليلتك ..

وتردد فرديناند برهة قبل أن يدخل الحجرة التى سينام فيها .. اذ خطر له أنه ربما كان من الافضل أن يأمر كميل بالنوم فى بناء المستوصف على شاطىء النهـــر ، فهو خال من المرضى فى الوقت الحاضر .. فوجود كميل فى البهو سيجعل من المتعذر أو من المحرج لفرديناند أن يتسلل فى الليل الى حجرة نوم الليدى ماكنسون .

www.ibtesamah.com/vb

ومع ذلك تحدى الخجل ، واجتاز البهو وطرق باب حجرتهـا ، وسمع من الداخل صوتا يسأل :

ـ من هناك ؟

وجف ريقه وتخلت عنه شجاعته .. وأجاب بلهجة عرجاء :

ـ كنت أريد أن أعرف هل أنت بحاجة الى أى شيء ؟

ـ شكرا .. لست بحاجة الى شيء ..

وهذا هو السبب فى أن يده كانت ترتجف ، وهو جالس فى حجرة نوم كميل التى احتلها بعد رحيل « فلبس » فقد اشتد على أعصابه الاحساس أثناء العشاء بالفارق الاجتماعى بينه وبين ضيوفه . وظل وقتا طويلا يحاول ترتيب أفكاره ليكتب شيئا عن أحداث ذلك اليوم فى مذكراته الى أمه ..

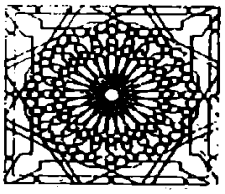

www.ibtesamah.com/vb

الفصل التاسع

تمنع

وفى اليوم التالى ، كتب فردينان فى مذكراته يقول :

ـ لعلك تذكرين ما حدثتك به من أمر العروسين الشابين اللذين صاحباني فى الرحلة .. وهما نائب المأمور البلجيكى وعروسه « يت » الباريسية المولد . وكانت تتسقط كل كلمة تخرج من فمى وهى مبهورة .. ثم تلتفت نحو زوجها لتسأله : « أسامع أنت يا جورج ؟ » وكان يضيق بسؤالها هذا ، ولكن المرء يشعر أنه مبهور مثلها تماما شاعر بدونيته الاجتماعية بالنسبة لمستواى الاجتماعى .. والحقيقة أن الفرق فى المستوى الاجتماعى بينى وبين الليدى ماكنسون وصاحبيها مثل الفرق بين « يت » وزوجها وبينى .. انها فوارق فى النشأةوالتربية . وأنا أحس بالدونية أمام الانجليزيين اللذين احتلا بيتى ، بحيث أشعر كما لو كان البيت بيتهما وأنا المتطفل عليهما .. ان الفرق بين مستوينا الاجتماعيين أخطر بكثير من الفرق بين لغتينا وجنسيتينا ..

وبعد قليل أضاف الفقرة التالية :

ـ لقد حضر « فلبس » هذا الصباح بمفرده فى سيارة كروسبى ، وقضى ساعتين مع الليدى ماكنسون فى حجرتها والباب مغلق دونهما .. وهذا يجعلنى أحس باحساس غريب جدا ، ولكنى لا أستطيع أن أخرج من ذهنى أن هذه السيدة أم لطفلين ...

والحقيقة أن لا شىء فى سلوك الليدى ماكنسون فى ذلك اليوم أشعره أو أشعر أى انسان بأنها كانت عشيقته المدلهة بعد ظهر اليوم السابق .. فهى كمألوف عادتها تماما ، وعلى الرغم من الآلام التى

www.ibtesamah.com/vb

سببتها لها ساقها ، كانت تبدو مرحة ..

وفى الليلة السابقة ، اقترح الميجر كروسبى ـ وهم على مائدة العشاء أن تنتقل الليدى ماكنسون الى ستانلى فيل للعلاج . والمسافة الى هناك لا تزيد على رحلة أربعة أيام بالسيارة . ولكن الليدى ماكنسون رفضت هذا الاقتراح ، مشيرة الى الكسور والرضوض الكثيرة التى أصيبت بها وعوفيت منها تماما ..

وعندئذ قال الميجر كروسبى :

ـ ولكن لنفرض أن هذه الاصابة تركت فيك ظلعا ...

والتفتت الليدى ماكنسون بهدوء الى فردينان ، وسألته :

ـ هل سوف أظلع يا فردينان ؟

ـ لا أظن هذا ..

فنظرت بتحد الى الميجر كروسبى ، وقالت :

ـ هأنذا قد سمعت !

وفى الوقت نفسه كان العمال منصرفين بكل جد ونشاط الى شق الطريق بين شاطىء النهر والبيت .. وقربوا الطائرة فعلا بمقدار ثلثمائة ياردة

أما باليجى فكانت متجهمة ، وكأنما عمدت الى الانتقام بارتداء ثياب قذرة .. ووبخها فردينان ، وأمرها بارتداء ثياب نظيفة

وكان كميل فى حالة وجوم .. وفردينان لا يدرى هل وجومه فى هذه المرة بسبب باليجى أو بسبب الانجليزية ؟ وهل هو على جارى عادته سينقل هيامه من باليجى ليتعلق قلبه بالليدى ماكنسون ؟

وفردينان كان من جانبه جافا فى معاملة كميل طيلة ذلك اليوم ، حتى أنه بعد أن وجه اليه ملاحظة قاسية أحس بأنه ينبغى ان يعتذر ، فقال له :

ـ آسف !.. واظن أن السبب فى توتر أعصابى هو هذا الجو الذى ينذر بالمطر ولا يمطر .. ألا ترى أنه يثقل على أعصابك أيضا ؟

وفى الليل كتب ما يلى فى مذكراته :

ـ لست أدرى هل ستتحمل أعصاب « اميلين » بعض فترات الجو القاسية ها هنا أو لا .. فأحيانا يشعر الانسان أن انهواء الذى يتنفسه هنا مشحون بالكهرباء .. وحتى الفيلة تحس هذا ،

www.ibtesamah.com/vb

وتمتنع عن القيام بالاعمال التى نكلفها بها . وأنا اليوم بدلت أربعة قمصان لكثرة العرق والرطوبة . ولا أدرى كيف يبدو على الليدى ماكنسون أنها غير متأثرة بهذه الحرارة . وانها لحرارة أضيق بها أنا على طول تعودى ، حتى انى أضطر لارتداء قبعتى المصنوعة من الفلين حتى وأنا جالس فى الشرفة لتحمينى من الوهج الشديد . وأما هذه السيدة الانجليزية فتقضى فى الشرفة ساعات متوالية وهى عارية الرأس !

وبعد قليل أضاف الحاشية الاتية :

ـ اخبرى « اميلين » أن تحضر معها كمية كبيرة من مسحوق الكينين فى برشام .. فالكينين الذى اشتريته آخر مرة كان أقراصا، وليست له فاعلية البرشام . وبهذه المناسبة ترفض الليدى ماكنسون أن تتعاطى الكينين . ومع أن من ينظر اليها يظنها رقيقة البنية الا أن قوتها العصبية والعضلية تجعلها ـ رغم مرونة قدها ـ أصلب عودا من معظم الرجال !

وانصرف « فلبس » فى الساعة الخامسة بعد الظهر .. أما فردينان الذى قضى ساعتين تحت وهج الشمس فى الطواف بأرجاء المزرعة ، فكان يتصبب عرقا ووجهه محتقن من شدة الاحمرار

وعند عودته الى الدار ، وجد الليدى ماكنسون جالسة فى البهو .. وقد حملها كميل بمعاونة باليجى الى هناك ..

وتظاهر بأنه لا يراها ، واتجه الى دولاب الكتب وتناول منه كتابا فى الاقتصاد .. ثم صب لنفسه كوبا من الماء ، وأخذ يرشف منه جرعات صغيرة متوالية على مهل ..

وهتفت به قائلة :

ـ فردينان !

وتظاهر بأنه لم يسمع ..

ـ اسمع يا فردينان ! اذا أنت لم تسلك سلوكا معقولا لائقا فانى انذرك بأنى ... سأقطع كل صلة لى بك ! لقد لبثت ساعتين وأنا أرقبك . والان اذهب واستبدل بثيابك هذه المبللة ثيابا جافة ... هيا ! الآن فورا !

www.ibtesamah.com/vb

وكان قميصه يقطر عرقا .. بعد أن ظل كل ساعتين يتظاهر بفحص شجيرات البن من غير أن تكون بحاجة الى فحص ..

ـ حقا ان الانسان يكاد يعتقد من تصرفاتك هذه أنك لم تزل صبيا فى العاشرة من عمره ، أغضبه من أمه أنها لم تعطه كل الحلوى التى كان يطمع فيها ! كلا .. لا تقترب منى ! اذهب أولا واخلع هذه الثياب المبللة فورا !

وأطاعها .. ولهذا أشار فى مذكراته الى أنه غير قميصه أربع مرات .. فالليدى ماكنسون تكره العرق ...

وعندما عاد اليها وجدها تطالع فى الكتاب الاقتصادى الذى انتقاه وبين شفتيها سيجارة .. وقالت له :

ـ لا تتكلم من فضلك .. فهذا الكتاب مثير للاهتمام جدا

وبعد بضع لحظات من الصمت ، هدأت أعصابه قليلا .. وكأنما شعرت بذلك ، فرفعت عينيها عن الكتاب ، وألقت اليه بنظرة رضا ، وقالت :

ـ هكذا ! هكذا أحب أن أراك .. أما أمس مساء على العشاء ، فكنت تبدو كالطفل المرتبك وأنت بغير نظارة .. تعال اجلس هنا بالقرب منى .. هكذا .. والان لا تتحرك !

أتراها كانت تنوى أن تثوب الى شىء من الرقة التى كانت عليها بعد ظهر أمس ؟

كلا .. لم يكن هذا فى حسبانها . وبعد العشاء انصرفت الى حجرة نومها مباشرة ، وانصرف هو الى مذكراته ليكتب فيها :

ـ أثناء الحديث فى هذا المساء ، أوحت الى بما فهمت منه أن « فلبس » كان يقيم فى بيتها باسطنبول ضيفا عليها وعلى زوجها مدة طويلة .. فهل تراها تريد أن توحى الى بأن زوجها يعرف كل شىء عن العلاقة الغرامية التى بينهما ؟ أم ترى يعتبر زوجها أن ما بينها وبين « فلبس » مجرد مناورات غزلية ؟

ولم يستطع فردينان الذى يشغف بأمه ، ويكاد يعبدها ، أن يتصور والدته عندما كانت فى الثانية والثلاثين من عمرها ، أى فى مثل سن الليدى ماكنسون .. لم يستطع أن يتصورها امرأة جميلة ناضجة شهية ، فالأم عنده دائما شىء آخر غير المرأة !

www.ibtesamah.com/vb

ولعل هذا هو السبب فى هذه الفقرة التى سجلها :

ـ يبدو لى فى ختام كل حساب أن قواعد الاخلاق لا تزيد كثيرا على أن تكون مسألة متعلقة بالعرف السائد فى طبقة معينة.. فعرف كل طبقة هو الذى يحدد هذه القواعد ولهذا كان سلوكنا غير سلوك الليدى ماكنسون وسائر طبقتها .. وكميل مثلا أخبرنى منذ بضعة أيام أن الفتيات فى قريته نادرا ما يتزوجن الا بعد أن تظهر عليهن أعراض الحمل .. وجميع سكان تلك المنطقة من فرنسا ، ينظرون الى هذه المسألة على أنها طبيعية للغاية ...

ووضع القلم بعد تفكير طويل ، شردت خواطره :

ـ أتراها نائمة ؟.. لقد حملت معها الى حجرتها ذلك الكتاب الضخم الجاف الذى يعالج الاقتصاديات بأسلوب فنى.. والعجيب فى الامر أنها تبدو مهتمة حقا بما يتضمنه هذا الكتاب ..

وهناك لحظات كان ينفض فيها من ذهنه بغضب كل ذكرى لما حدث بينهما .. كأنه شىء كريه مبتذل منفر

أجل كان يشعر بالخجل فى تلك الساعة من الليل من رنين تلك الكلمات الفاضحة التى كانت تتفوه بها وهى بين أحضانه .. ومن تلك الاشارات الفجة التى تعتبر أقصى غايات التبذل لدى النسوة السوقيات ...!

ومع هذا ، عندما تذكر مثلا نبرة صوتها وهى تناديه بين الاعزاز والتوسل ، شعر بجيشان شديد فى عواطفه ، جعله يجمع قبضة يده ويخطو نحو حجرتها خطوة .. بيد أن البهو الذى ينام فيه كميل اعترض طريقه .. وان هو طرق الباب ، فما من شك فى أن كميل سوف يسمع

ولم يستطع فردينان أن ينام تلك الليلة الا لماما .. وعندما خرج قبل شروق الشمس ليطوف أرجاء المزرعة ، كان كميل لم يزل نائما فى موضعه

وقبيل الساعة العاشرة عاد فردينان ، ليجد كميل يتأهب لمغادرة البيت ، وليرى ليدى ماكنسون مستقرة فى موضعها من البهو .. وخيل اليه أن كميل يتحاشى أن تلتقى عيناهما ...

وفيما هو يصعد الدرج ، سمع صوتا يناديه :

www.ibtesamah.com/vb

ـ طاب صباحك يا تالا تالا !

ووقف مبهوتا .. فهذا هو الاسم الذى يلقبه به الاهالى بلغتهم .. ورأى الليدى ماكنسون تتلوى من الضحك ، ولكن نظراتها كانت تنم عن رقة وحنان .. وهى تكرر النداء ..

ـ طاب صباحك يا تالا تالا

وكانت نظرة واحدة كافية لتوضيح ما حدث .. فهناك مقعد شاغر بجوار المقعد الذى تجلس فيه الليدى . ومن الواضح أنها سألت كميل أن يجلس بجانبها ، واستدرجته للحديث عن فردينان

وانطلق كميل يشبع رغبتها .. وأخبرها فيما أخبرها باللقب الذى خلعه الاهالى على فردينان . وقد أطربها أن تناديه بهذا الاسم ، ولم يخطر ببالها أن هذا هو الاسم الذى تناديه به باليجى فى خلوتهما . ومن هنا ، سر ذهوله عند سماعه هذا الاسم من شفتيها ..

ـ أضيق الصدر أنت كالعادة ؟ .. تعال الآن واجلس بجانبى يا تالا تالا .. وحاول الان أن تبدو لطيفا على سبيل التغيير !

انها لا تدرى كم اهتز وجدانه ، وهى تناديه بهذا الاسم .. حتى أنه أشاح بوجهه ، ولا ريب فى أنها فطنت الى ذلك .. فقد لاذت بالصمت بضع دقائق لتعطيه الفرصة كى يسترد هدوءه

وبعد قليل ، قالت له :

ـ هيا الان نتحدث قليلا .. فلدينا أشياء وأشياء نتباحث فيها معا .. وسيحضر «فلبس» والميجر كروسبى بعد قليل .. فلنسرع اذن لنقول ما لدينا بايجاز ووضوح وهدوء .. انظر الى يا مسيو تالا تالا ، ولا ترغ بعينيك بعيدا عنى ...

www.ibtesamah.com/vb

الفصل العاشر

قرار مفاجئ

فلنعد الآن الى خطيبة فردينان ووالدها الاستاذ تاسان موثق العقود ، وهو رجل ضئيل الجسم قصير القامة اذا دققت فيه النظر وجدت أحد خديه أكبر من الخد الآخر !

والحقيقة أن الكثيرين جدا من الناس الذين التقوا به لأول مرة كانوا يظنون أنه يمضغ الطباق ، وأن هذا هو سر ارتفاع أحد الخدين ، وسر ما يبدو فى كلامه من عيوب النطق والفأفأة شأن من يتكلم وفمه ملآن .. وهو كسائر قصار القامة من الرجال قد تعود التلويح بيديه والاكثار من الايماء والاشارة وهو يتكلم .. ولكنه يزيد عليهم حركة عصبية تجعله يغمز دائما بعينيه ..

وكانت ابنته « اميلين » ــ خطيبة فردينان ــ حين تقف الى جواره تبدو عملاقة .. لا لانها ضخمة الجسم ، بل لانها طويلة طولا خارقا للمعتاد ، وبشرتها ناصعة البياض كالمرمر ..

وزوجة تاسان ماتت منذ خمسة عشر عاما .. وعند وفاتها احتلت ابنتها مكانها فى ادارة المنزل وتدبير البيت . وهى شابة عظيمة الكفاية سيطرت على كل شىء ، وساست أباها بيد من حديد كما كانت أمها تفعل من قبل ، ولم يسؤه هذا لأنه تعود أن يعامل معاملة الاطفال الا من أعضاء نادى الصيد فى مولان .. فهو رئيس ذلك النادى ، وهو من لاعبى البريدج فى تلك البلدة الصغيرة ويعتبر حجة فيها

وكان العشاء قد انتهى فى حجرة المائدة الضخمة التى تقع فى الطابق الاول الذى يعلو محل بيع السلاح والذخائر المملوك لوالد فردينان ..

www.ibtesamah.com/vb

واذا نظرنا الى التقويم وجدنا أننا فى احدى الليالى الاولى من شهر يونية .. والنوافذ مفتوحة فى ساعة الغروب .. وضوضاء الشارع المعتادة تختلط من بعيد بالاحاديث

وعلى رأس المائدة جلس « ايفرست جرو » والد فردينـــان ، شارد الذهن .. لا يلقى الا أقل القليل من انتبـاهه لما يلقى من الحديث على المائدة ، فهو يعلم تمام العلم أن المحامى القصير القامة ليس بحاجة الى تشجيع كثير كى يتدفق فى الكلام والسمر

أما ايفرست جرو الصغير الذى يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره فكان يتعجل ختام الوجبة كى يسرع الى اجتماع لصحابه فى نادى السيارات بالمحافظة .. وأخته مارى تريز التى تنتظر وليدها الاول بعد مدة قصيرة ، تبدو بجانبه شاحبة الوجه ، وقد جلست صامتة تنظر الى زوجها الشاب الأشقر الذى يبارى تاسان فى كثرة الحركات والاشارات والكلام

والخادم التى قضت فى خدمة الأسرة ربع قرن ، تتحـرك بين المقاعد وتقدم صحاف الطعام بنفس الطريقة والنظام المتبع منـذ زمن سحيق فى تلك الدار .. فكأن الاشخاص والاثاث لوحة ثابتة قديمة عاجزة عن أى تجديد فى سلوكها !

وفجأة أشارت مدام جرو اشارة معينة ، فانفك الطلسم عن هذه الشخوص المسحورة الثابتة ، ونهض الجميع لشرب القهوة فى قاعة الاستقبال . وقالت مدام جرو لابنتها الحبلى :

ـ انك تبدين مجهدة .. فلماذا لا تستلقين برهة ؟

ونظرت مارى تريز الى زوجها مستفسرة .. فقال :

ـ لست من أنصار اخلادها للراحة كثيرا فى حالتها الراهنة

ونظرت مدام جرو الى « اميلين » وقالت لها :

ـ تعالى معى لحظة يا اميلين ..

ولم تظهر الدهشة على أحد .. وتبعت اميلين والدة فردينان الى حجرة البياضات التى تتوسطها آلة للحياكة ، تتناثر حولهـا قطع من القماش . وقالت لها والدة فردينان ، وهى تشعل النور وتضع منظارها على عينيها :

ـ أرينى الخطاب من فضلك ..

www.ibtesamah.com/vb

ولم تقل أميلين شيئا .. ولكن مظهر الجد الذى اكتسته ملامح وجهها المتصلبة كان ناطقا بما تكنه ، وكأنها تقول :

ـ ستزين بنفسك أن الموقف خطير .. وأننا يجب أن نتفق على خطة واحدة للعمل .. أنت وأنا

ومع أن مدام جرو لم تكن فى مثل طول قامة أميلين ، الا انهـــا كانت مهيبة الطلعة موفورة الصدر محكمة الثيـــاب .. ترتدى السواد فتبدو فى صورة النموذج الكامل لام الاسرة

ـ هل فاتحت والدك فى هذا الموضوع ؟

ـ كلا .. لم أفاتحه بعد

وشرعت مدام جرو تقرأ الخطاب ، وتحرك شفتيها أثناء القراءة ، كما يفعل المصلون أثناء قراءة القداس :

« عزيزتى اميلين .. هذه رابع محاولة لى كى أكتب اليـــك خطابا . ولا بد أن أتم هذه المحاولة بأى شكل لأن الأتوبيس سيمر من هنا هذا الصباح . ولكنى فى الواقع لا أجسر على الكتابة اليك ، وأنا فى حالتى الراهنة .. لأنى قد أنزلق وأقول لك شيئا سخيفا أندم أشد الندم فيما بعد ـ والى آخر عمرى ـ على الافضاء به . وكل ما أستطيع أن أقوله لك الآن انى أمر بأزمة عاطفية رهيبة ، وأطلب منك أن تصبرى الى أن يصلك خطابى التالى لهذا. وحسبك الى ذلك الوقت أن توقنى من أننى أبذل غاية جهدى للحيلولة دون أى تغير فى العلاقة التى تربط بينى وبينك . ويحسن أن تذهبى لزيارة أمى ، وستجدين عندها النصح السديد .. أما أنا فأشعر بانهيار عقلى وبدنى.. والأمطار لم تزل محتجزة بين أطباق السحاب لا تريد أن تنهمر

« وختاما لك حبى ... فردينان »

وتنهدت مدام جرو ، وحرصت على ألا تنظر الى وجه اميلين.. فسألتها اميلين قائلة :

ـ وبعد ؟

ـ يستحسن أن أريك الخطاب الذى تسلمته منه الآن .. وقد أدركت من أول سطر فيه أن هناك شيئا ما ليس على ما يرام

وأخذت مدام جرو تفتش بين طيات البياضات داخل الدولاب ،

www.ibtesamah.com/vb

فهى تحتفظ هناك بيوميات فردينان التى يسجلها على صورة خطابات اليها .. وقدمت الخطاب الأخير فى مظروفه الضخم الى اميلين قائلة :

ـ يحسن أن تقرئى هذا الخطاب .. وليس فيه شىء لا يليق أن تقع عيناك عليه . وسأعود بعد بضع دقائق ، لانى يجب أن اهتم بتقديم القهوة واعداد المشروبات ..

وظلت اميلين واقفة وحدها .. ولم تجلس وهى تقرأ لأنها ليست من الطراز الذى تعود الراحة فى المقاعد الوثيرة : « أعتقد أنك قرأت فى الصحف خبر الليدى ماكنسون والكابتن « فلبس » اللذين اختفت طائرتهما بهما فى سماء الكونغو البلجيكى .. »

واستمرت فى القراءة الى أن وجدت هذه السطور : « ان الفرق بينى وبين الليدى ماكنسون وطيارها الشاب هو نفس الفرق الاجتماعى الذى بينى وبين ذلك الشاب البلجيكى نائب المأمور وزوجته .. والظاهر أن الليدى ماكنسون ستبقى الى أن تصل المروحة التى طلبتها من انجلترا برقيا .. »

وعندئذ عادت مدام جرو ، وقالت لها :

ـ يا اميلين .. ان والدك يريد أن يعرف هل ستعودين معه الآن أو لا . فهو يريد أن يذهب الى النادى ليلعب البريدج

ـ أرجوك أن تطلبى منه الانتظار برهة ، فقد يكون عندى ما أقوله له

وأكملت قراءة الورقة الاخيرة من الخطاب : « أشعر أحيانا أننى على شفا تغير حاسم فى حياتى .. فالحر الشديد والعاصفة التى تتجمع ولا تريد أن تنفجر والامطار الحبيسة ، كل ذلك يدمر أعصابى . والليدى ماكنسون نفسها تشعر أحيانا بأثر هذا كله ايضا ، رغم صلابة عودها ، وعلى كل حال من الافضل أن تؤجل اميلين حضورها بضعة أسابيع .. الى أن اخبرك أن الوقت مناسب »

ومرة أخرى جاءت مدام جرو لتقول لها :

انه يقول انك يجب أن تأتى فورا ، والا فجميع موائد البريدج تكون فى مدى نصف ساعة قد اكتمل عددها

www.ibtesamah.com/vb

ولم تحاول اميلين أن تعلق على هـذا الكلام ، فبين يديها الآن ما هو أهم من ألعاب البريدج .. ولوحت بيدها التى تضم أوراق خطاب فردينان ، وسألت مدام جرو :

ـ ماذا فهمت منها ؟

ـ وأنت .. ماذا فهمت ؟

وكانت عينا اميلين جافتين ، بيد أن شفتيها كانتا أشد شحوبا من المعتاد ، وليس من عادتها أن تضع عليهما الأصباغ .. وانتاب مدام جرو شعور مفاجىء بالاحترام لهذه الفتاة الطويلة المهيبة التى ينم مظهرها عن منتهى رباطة الجأش ، ولا يكشف عن انفعالها الا حركة لا تكاد تلحظ فى عنقها .. كأنها تجد صعوبة فى ازدراد ريقها

وأخيرا قالت بحزم :

ـ أظن من المستحسن أن أذهب ..

ولكنها لم تكن تعنى بذلك الذهاب الى البيت ، كى تتيح لابيها الذهاب للعب البريدج .. ففردينان هو الذى كان فى ذهنها .. فهى تعنى بالذهاب الرحيل الى افريقيا فورا حيث مسرح الاحداث الحاسمة . وكان واضحا أن مدام جرو توافقها على هذا .. فهى لم تظهر اعتراضا على قرار اميلين ، بل أطرقت الى الأرض مفكرة ، وبعد قليل قالت :

ـ هذا قرار يجب أن تبتى فيه بنفسك يا عزيزتى ..

ـ أعلم هذا .. ولكن أتستطيعين أن تفسرى لى ما حدث ؟ هذا السلوك غريب جدا على فردينان .. وأنا فى الواقع مرتاعة للغاية .. أليس كذلك ؟

وآثرت مدام جرو ألا تجيب .. فاستطردت اميلين تقول :

ـ ان استطعت أن أدرك الطائرة التى تقوم من برنديزى سأصل الى هناك بعد أسبوع ..

وكلتاهما كانتا تحسان بالقلق .. ولعل احساسهما بالقلق ، كان فى مستوى واحد . ولكن مدام جرو هى التى أفصحت عنه :

ـ الا تظنين أن وصولك .. قد يضايقه ؟

وكان رد اميلين الوحيد هزة يسيرة من كتفيها ، كأنها تقول :

www.ibtesamah.com/vb

ـ لابد لي من المجازفة .. فالمسألة بالنسبة لي أخطـــر من أن أبالي فيها بكبرياء فردينان ..

ـ هل ستخبرين والدك بما عزمت عليه ؟

ـ نعم ..

ـ وكيف ستصورين له الموقف ؟

ومرة أخرى هزت اميلين كتفيها هزة يسيرة .. فليس هنـاك كبير أهمية لذلك .. المهم أن تذهب فوراً

وقبلت أميلين مدام جرو ، وسألتها وهي تشـــــير الى أوراق الخطاب :

ـ هل في استطاعتي أن آخذها ؟

ـ بكل تأكيد ياعزيزتي ..

ودست اميلين الأوراق الرقيقة المخصصـــة للخطابات الجـوية داخل صدرها ثم دخلت حجرة الاستقبال .. وكان والدها الاستاذ تاسان واقفا أمام النافذة يدخن سيجارا ضخما ، وهو يتحـدث الى ايفرست جرو .. فتهللت أساريره عندما برزت ابنته من فرجة الباب ، وهتف قائلا :

ـ هذه انت أخيراً ! ظننتك لن تأتي .. ولكن ما خطبك يا اميلين ؟

واقتربت منه فازداد وضوح الوجوم الذي اكتسته ملامحها :

ـ ليس بي شيء .. ولكن لدي ما أقوله لك

ـ ماذا هناك ؟

ـ سأستقل قطار مساء الغد الى برنديزي ..

ـ ما هذا الذي تقولين ؟ أمسافرة انت الى برنديزي ؟ ولماذا ؟

ـ يجب أن أذهب الى فردينان فورا .. حالتـه ليست على ما يرام ، ومن الافضل أن أكون بجواره في هذه الآونة !

وأدرك موثق العقود من سحنة مدام جرو انها موافقة على ذلك السفر .. وسأل والد فردينان زوجته :

ـ هل فردينان مريض حقا ؟

فأجابته بلهجة ذات مغزى :

ـ تقريبا .. وعلى كل حـال أعتقـد أن اميلين تحســن صنعا بالذهاب الآن اليه . وعندي من الأســباب ما يحملني على هــذا الاعتقاد

www.ibtesamah.com/vb

فصاح موثق العقود القصير متذمرا :

ـ وماذا يكون من أمـرى انا ؟ انك لا تراعين حـالتى يا اميلين باتخاذ هذا القرار المفاجىء .. ومتى تنوين أن تعودى ؟

ـ ليست عندى اية فكرة عن موعد عودتى

وأشفقت مدام جرو على الرجل الذى كاد يبكى ، وقالت :

ـ سآتيك بكأس من الكونياك ..

وبدا على العائلتين الاضطراب ... وتبـدد الهـدوء الذى كان يشملهما على العادة كل مساء . ولم يظهر خلى البـال تقريبـا الا شقيق فرديناند الصـغير . وحـاول الباقون التغلب على انفعالهم بكئوس الشراب

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الحادى عشر

أريد وعدًا

أما فردينان ، فانه حين اقترب بمقعده من ليدى ماكنسون ، قال لها :

ـ أريد منك أن تخبرينى بشىء ..

وندت عن ليدى ماكنسون حركة خفيفة تدل على نفاد الصبر .. وهى مستلقية على المقعد الطويل المجاور لمقعده فوق الشرفة فى ضوء القمر . وقد أطفئت جميع أنوار البيت إتقاء للهوام والحشرات .. ودقات طبول التوم توم تترامى من خلال الضباب والظلام متباعدة متواترة ..

ـ ماذا تريد منى أن أخبرك ؟ ماذا تريد أن تعرف ؟

وجاءها صوته جافا :

ـ أريد أن أعرف الى أى حد أطلعك « فلبس » على الحقيقة

وتنهدت الليدى ماكنسون ، فقد بدا لها السؤال تافها .. ولما طال به انتظار جوابها ، قال لها بصوته الجاف :

ـ انه يعرف كل شىء .. أليس كذلك ؟

وأجابت عن سؤاله بسؤال :

ـ ماذا تعنى بكل شىء ؟

ـ أنك عشيقتى !

وعندئذ أوشكت أن تفقد أعصابها .. وكان صوتها مشحونا بشىء أكثر من نفاد الصبر ، وهى تجيبه :

ـ ولكنى لست عشيقتك .. وانها لكلمة بشعة لا يجمل بك استعمالها . فما يحدث بيننا استمتاع حر ، لايقيدنى ولايقيدك .. فأنا دائما حرة ، وكذلك أنت !

www.ibtesamah.com/vb

وهذا ما لم يكن فى استطاعته أن يقبله أو يعترف به .. فصاح مندفعا يقول بحدة :

ـ كلا !.. هذا ليس صحيحا !

ـ فردينان ! أرجوك أن تكون عاقلا متزنا .. وأنا أعلم أن الذنب ذنبى ، لأنى لم يكن ينبغى لى أن أبقى كل هذه المدة بحيث تظن أن لما حدث معنى ، أكسبه التكرار رسوخا وحقوقا مكتسبة .. مع أن المسألة ليست كذلك بالمرة ..

ـ ولكنى واثق أنك أخبرت « فلبس » .. بكل شىء

وآثرت ليدى ماكنسون أن تلوذ بالصمت .. وغرق كل منهما فى أفكاره وخواطره ، وهما يحدقان فى كتل السحاب القاتمة التى تفضض حواشيها أشعة القمر المكتمل .

وفى خلال الأيام العشرة الأخيرة ، لم يكن هناك ما يمنع الليدى ماكنسون بأية حال من مغادرة البيت كى تقيم فى مزرعة الفيلة مع « فلبس » والميجر .. وكل مساء تقريبا كانت تقول انها عازمة على الرحيل فى اليوم التالى ، ثم فى اللحظة الأخيرة تتثاءب وتقول لفلبس :

ـ كلا يا جيمى .. لن أرحل اليوم على كل حال ، لست أجد عندى الرغبة فى ذلك .. عد غدا بالسيارة

وينصرف « فلبس » دون أن يبدى أدنى علامة من علامات الغيرة .. ويهز يد فردينان كالمعتاد ، وكذلك الميجر كان يبدو وكأنه لا يعرف شيئا ، مع أن فردينان كان واثقا من أنهما موقنان مما يعقب رحيلهما .. وكيف ترقد فى فراشها ، وهى تترقب أن يدفع فردينان الباب لتجذبه بذارعيها القويتين اليها ، ويضمهما الليل الحار .. وانفاسهما أشد منه حرارة الى أن يتنفس الصبح !

لم يكن معقولا انهما لا يدركان أن هذا هو سبب ارجاء الليدى ماكنسون لرحيلها معهما .. فآخر الأنباء الواردة من لندن ، تقطع بأن مروحة الطائرة لن تصل قبل شهر !

وعاد فردينان يلح عليها بالسؤال ، بعد برهة صمت :

ـ ماذا أخبرته ؟

فالذى أدهش فردينان لم يكن خلو سلوك « فلبس » من الغيرة

www.ibtesamah.com/vb

فحسب ، بل انه أصبح يبدى مزيدا من الود والصداقة له أكثر كثيرا مما كان يبديه فى أول الأمر .. ففى البداية كان يتجاهل وجود فردينان تقريبا ، أما الآن فهو يتقرب اليه .. ويتكلم أحيانا عن الليدى ماكنسون ، كما لو كان هناك تفاهم ضمنى أو تواطؤ ثلاثى يربط الليدى بهما ..

وفى ذات مرة ، قال لفردينان :

ـ أنى فى الحقيقة معجب اعجابا شديدا بزوجها .. وهو أكبر منها فى السن بنيف وعشرين عاما ، ولكنه من أفضل الرجال ... واسع الافق ، دمث حصيف .. والجميع يحبونه ويطمئنون اليه..

وتعجب فردينان ماذا يرمى اليه الشاب بحديثه عن مناقب الزوج . أتراه يلمح الى أن السير رونالد على علم بغراميات زوجته، وأنه يتسامح فيها ؟.. أم أن « فلبس » بليد الحس تماما فى هذه المسائل ؟

وهناك شىء آخر أفضى به الى فردينان .. وهو محاولاته طيلة عامين لابراء الليدى ماكنسون من عادة تدخين الأفيون ..

ـ وأرجو اذا طلبت منك أفيونا من الكمية التى جلبناها معنا فى الطائرة ، ألا تحضر لها شيئا منه .. فهى الآن ولله الحمد أقل ادمانا . أما منذ سنة فكنت أراها بعينى رأسى تدخن نحو خمسة وثلاثين غليونا من الأفيون فى اليوم الواحد ، ومن حسن الحظ أن بنيتها قوية للغاية ، والا لما استطاعت مقاومة أثر تلك السموم

وفى مرة أخرى ، قال « فلبس » بلهجة من لا يعلق أهمية خاصة على المسألة :

ـ هذه أول مرة أراها تستقر مدة طويلة هكذا فى مكان واحد .. فأعصابها دائما قلقة ، ولا تطيق البقاء طويلا فى مكان ، وهذا سر شرائها للطائرة كى تكون تحت تصرفها للتنقل بها فى أية لحظة .. وقيل لى انها هكذا كانت قبل بلوغها العشرين ، فما أكثر ما خرجت على المألوف والعرف . ولكن أباها كان يدللها ، ويترك لها الحبل على الغارب فى كل شىء .. حتى انها فى سن الثامنة عشرة كانت تتنزه فى شارع ريجنت وفى سلسلتها فهد صغير !

وربما كان هذا كله صحيحا .. ولكن لماذا يخبره « فلبس »

www.ibtesamah.com/vb

بهذه الأمور من دون سائر الناس ؟ ولماذا هـذه الصراحة التلقائية التى تخفى وراءها حتما تهكما وعدم اكتراث وعدم شعور بالغيرة ؟

ان ذلك الشاب يبدو بمسلكه هذا ، وكأنه يقول له :

ـ ان الليدى ماكنسـون لا تكف عن المغامرة .. ولست سوى نزوة من نزواتها لا دوام لهـا ، ولا معنى .. وانى تارك لك الميدان الى أن تشبع !

وتنهد فرديناند ، وقال لها :

ـ هنـاك لحظات أكاد أعتقد فيها أنك تحبيننى .. ولكن ما أن تفلتى من أحضانى حتى ..

ـ فرديناند !

ـ أرأيت ؟.. كأنى بك تشعرين بالخزى !

فاتقد غضبها ، وصاحت :

ـ ألن تتعلم أبدا كيف تضبط لسانك ؟ ألا تدرى أن هناك أشياء لا يجمل بالرجل المتمدن أن يتحدث عنها ؟

ـ رجل من طراز « فلبس » .. هذا ما تعنين ؟

ـ ان « فلبس » على كل حال يدرى متى يغلق فمه ..

ـ أجل .. ان « فلبس » رجل انجليزى مهذب .. أما أنا ..

ـ انك دائما تترك لأعصابك اليد العليا كى تسيطر عليك .. لماذا بالله تصر على افساد ليلتنا الاخيرة معا ؟ انى راحلة غدا ..

ـ حقا ؟..

ـ وأريد منك أن تعدنى بشىء ..

ـ ما هو ؟..

ـ أن تسلك سلوكا معقولا ، وتستأنف حياتك على ما كانت عليه قبل قدومى . وأنا واثقة أن هـذا هو السـبيل الوحيد القويم ، فلا فائدة من هذه العاطفيات يا عزيزى تالا تالا المسـكين .. فانى عائدة الى اسطنبول ، وسأنصرف هناك الى حياتى المعتادة ، فأقيم حفلات الشاى فى السفارة ، وألعب التنس ، وأركب يختا شراعيا فوق مياه البوسـفور .. وربما أرسلت اليك بين الحين والحين بطاقة بريد مصورة بالألوان !

وكانت فى صوتها حشرجة لا ارادية .. ولكنـه عبثا حاول أن

www.ibtesamah.com/vb

يكتشف تعبيرا ينم عن الحزن على ملامح وجهها .. فقال بمرارة :

ـ وسيسترد « فلبس » مكانه السابق مرافقا ورفيقا لك !..

فقالت له فى تأنيب :

ـ أما أن تكون أشد بلاهة مما كنت أظنك يافردينان ، وأما ان تكون حقودا حسودا . ولكن فلتعلم انى سأتنازل عن الطائرة لفلبس الذى اعتزم الطيران بها الى وطنه نيوزيلنده ، وهى عملية تحتاج الى قسط كبير من الجسارة كما تعلم ، لأنه سيجتاز المحيط الهندى ، ومتى غادر مدغشقر لن يصادف فى طريقه الا جزيرتين صغيرتين

ـ لماذا تصرين على الكلام عنه دائما ؟

ـ عفوا ظننتك أنت الذى بدأت بالكلام عنه ؟

ـ هل سنتشاجر مرة أخرى ؟

وقبض يده متقززا من نفسه لعجزه عن الارتفاع فوق مستوى المهاترة والغيرة .. مع أن الرغبة الحقيقية فى أعماقه طيلة الوقت أن يضمها بين ذراعيه ، وأن يتضرع اليها أن تبقى معه الى الأبد .. وتربط حياتها بحياته !

ـ مارى !..

ـ نعم يا فردينان !..

ـ لماذا أنت بعيدة عنى ؟

ـ اننى هنا .. ولكنك لا تريد أن تكف عن الكلام .. وأكاد أعتقد أنك تجد متعة فى تعذيب نفسك !. ويبدو عليك أنك غير راغب مطلقا فى أن تعرف شيئا عنى ، ولا عن حياتى فى انقره فى بيتى ومع أطفالى

وبذل مجهودا كبيرا كى يظل صامتا .. مع أن كلماتها أشعرته اليأس . ثم اتركها تستطرد قائلة :

ـ عندما قابلتك لأول مرة خيل الى انك رجل متزن رصين .. وبدا لى « فلبس » بجانبك وكأنه من غلمان المدارس ، ولكنك عندما تخلع منظارك هذا تبدو مثله تماما : فتى مضيعا يثق بنفسه .. بل انك أشد رعونة وعاطفية منه . وكان ينبغى أن أرحل فى أول يوم استطعت فيه أن أتحرك ..

ـ هل لك أن تجيبينى عن سؤال واحد فقط ؟

www.ibtesamah.com/vb

وبعد أن تنهدت فى تسليم ، قالت :

ـ تفضل ..

ـ خبرينى ، هل « فلبس » يعلم أو لا ..

ـ يعلم ماذا ؟

ـ اننى .. اننى عشيقك !

ـ أوه ! أما كان فى وسعك أن تترك هذا الموضوع ؟

ـ كلا ..

ـ حسنا اذن .. انه يعلم !

ـ ولا يشعر بالغيرة ؟

ـ ولماذا يغار ؟

ـ ماذا تقولين ؟.. أتريدين ان تنكرى انه هو أيضا عشيقك ؟

فنهضت واقفة فجأة .. وترنحت لأنها كانت قد نسيت أن تعتمد على عصاها

ـ أين أنت ذاهبة ؟

ـ الى الفراش ..

ـ انك لم تجيبينى بعد ..

ولكنها اخترقت الباب ، وجاءه صوت خطواتها وعصاها على البلاط .. كأنما ذلك كل ما عندها من جواب ..

لماذا فى هذه اللحظة بالذات خيل اليه أنه يسمع أحدا ، وكأنه يقول له بصوت أجش :

ـ أسامع أنت يا فردينان ؟

ثم سمع صوت المفتاح يدور فى قفل بابها من الداخل لأول مرة منذ حلت ببيته .. وبجهد جهيد ، نهض كذلك ودخل الى البهو .. وأحس بشىء غير عادى فأضاء النور . وعندئذ اكتشف أن كميل غير موجود هناك ، وأن غطاء فراشه لم تعبث به يد

واستولت عليه دهشة شديدة .. فخرج الى الشرفة ثم راح يطوف حول الدار وهو يحاذر أن يسمع لخطواته صوت . وكان من عادة باليجى فى الليالى الشديدة الحرارة ، أن تخرج حصيرها الى العراء لتنام تحت السماء قرب باب المطبخ الخلفى ..

وفى هذه الليلة شاءت المصادفة أن يسقط ضوء القمر كله على

www.ibtesamah.com/vb

ذلك الجانب من الدار . وعندما دار فردينان حول زاوية البيت ، رأى شيئا يتحرك على الارض أمامه ، وبرز رأس وكتفان فى ضوء القمر ..

انه كميل .. كان نائما تحت غطاء واحد مع الفتاة السوداء . وارتبك الشاب عندما أدرك انه ضبط فى هذا الوضع ، وانتفض لينهض قائما . ولكن قبل أن يستوى قائما على قدميه ، كان فردينان قد ابتعد ..

وعندما دخل حجرة نومه ، أغلق هو أيضا بابه بالمفتاح ..

وفى الصباح التالى ، لم تظهر ليدى ماكنسون حتى العاشرة صباحا .. ولكنه كان يسمع حركاتها داخل الحجرة . وفى الساعة العاشرة تماما دوى نفير سيارة عند المدخل . وبعد لحظات كان « فلبس » والميجر يرقيان الدرج

ـ طاب صباحك يا جرو .. ألم تنهض الليدى ماكنسون بعد ؟

وكانت قد سمعت صوت قدومهما ، ففتحت الباب وقالت :

ـ ادخلا لحظة .. فعندى ما أقوله لكما

ثم التفتت ناحية فردينان ، وقالت :

ـ ان لم يكن لديك مانع ..

ودام الحديث فى حجرة النوم زهاء ربع ساعة .. حاول فى خلاله كميل مرتين أن يستدرج فردينان الى الكلام . وفى المرة الأولى أخفق تماما ، أما فى المرة الثانية فقد قال كميل :

ـ انى مدين لك بايضاح ..

فقاطعه فردينان ، قائلا بهدوء وحزم :

ـ كل شىء على ما يرام يا فتى .. فلا تهتم ..

أما باليجى ، فلم يظهر لها أثر حتى تلك اللحظة .. كانت السحب داكنة ثقيلة محملة بالامطار التى لا تريد أن تنهمر ، والأرض جافة تلذع بحرارتها الاقدام ، والنهر كاد ينضب ماؤه .. فليس فيه ما يكفى لتحريك آلات الرفع والكهرباء

وأخيرا انفتح باب حجرة النوم ..

وما أن خرج الميجر الى البهو ، حتى قال :

www.ibtesamah.com/vb

ـ أما من سبيل الى شيء من الويسكى ؟

وقبل أن يجيبه أحد ، قالت الليدى ماكنسون :

ـ هل لك أن تأتى معى لحظة يا فردينان ؟

ولم يكن رآها من قبل فى مثل ذلك الزى الأبيض (التايير) فبدت له مختلفة الى حد كبير عما يعهدها .. فذلك الزى أصلح للحياة على شاطىء الريفييرا ، أو على ظهر عابرة محيط فاخرة .. ولـــكنه غريب جدا فى قلب غابة الكونغو ، ولا سيما وهى قابضة على قفاز أبيض من الحرير ..

وقالت له بصوت هادىء ، مع أن نظراتها لم تكن تستقر على شيء:

ـ انى آسفة جدا يا فردينان لمفادرتى اياك على هذه الصورة .. ولكن هذا كان أمرا لا بد منه .. والآن يا فردينان يجب أن تعدنى بما طلبته منك

ونظر اليها متسائلا فى صمت ، فقالت :

ـ عدنى أن تكون عاقلا متزنا .. وتذكر أن خطيبتك ستلحق بك هنا بعد وقت قصير ، وأننى من جهتى فى مدى خمسة أيام أو ستة سأكون مستقرة فى بيتى بين أطفالى ..

كانا وحدهما ... ولكنه ظل بعيـــدا عنها قريبـــا من الباب ، واستطردت :

ـ سوف لا أشكرك يا فردينان على ضيافتك .. فان ذلك حرى أن يبدو سخفا شبيها بالتهكم .. ولكنى واثقة أننا فى يوم من الايام سوف نلتقى . وأرجو عنـــدما يحـــدث ذلك أن تكون عواطفك قد هدأت ، فيتاح لنا أن نكون صديقين لا يعكر صفاء صداقتهما الحاح الرغبات المتطرفة ..

ولم يقل شيئا .. وظلت تتحاشى التقاء نظراتهما ..

ـ أسمعت ما قلت يا فردينان ؟

ومن غير تفكير ، شرعت ترتدى قفازا فى يسراها .. ثم تناولت من فوق المنضدة كتابا عن زراعة البن كانت تطالعه ، وابتسمت وهى تضعه ثانية فى مكانه ، وقالت :

ـ منذ الآن .. كلما شربت رشفة من القهوة ، سأتذكر مزرعتك .. والدار والنهـــر والشـــــلال والفيلة .. والآن لا أقول وداعـــا

www.ibtesamah.com/vb

يا فردينان ، ولكنى أقول .. الى الملتقى !

وبسطت اليه يدها بحركة حاسمة صريحة .. حاسمة صريحة مثل قدها النحيل الطويل المشـــوق الذى يبرزه ثوبها الابيض فى وضوح حاسم ، كأنها تمثال اغريقى !

ــ الى الملتقى يا تالا تالا !..

وانحنى الى الأمام ليقبل يدها .. بيد أنها جذبتها فى آخر لحظة، وفتحت الباب قائلة لصاحبيها :

ــ هل أنتما على استعداد ؟

وأسرع « فلبس » والميجر بالانتهاء من كأســيهما ... ثم قال الميجر لفردينان :

ــ سنبيت ليلتنا فى جوبا حيث المطار .. وبهذه الوسيلة نتمكن من توديع الليدى ماكنسون حين تستقل طائرة الخطوط الجـوية الامبراطورية . وفى طريق عودتنا غدا سنمر من هنا.. فهل نستطيع أن ندعو نفسينا الى الغداء على مائدتك ؟

واجتازت الليدى ماكنسون الشرفة .. ووقفت على الدرج ، وكأنها تتلفت حولها بحثا عن شىء . وأخيرا اكتشفت مكان باليجى، وهى تختلس النظر من خلف شـــجرة موز .. فتوجهت اليهـــا ، وفتحت حقيبتها ، وأخرجت ورقة من ذات الجنيهات الخمسة

ودار محرك الســـيارة .. ووضعت الحقيبة المصنوعة من جلد التمساح على المقعد بجوار الميجر الذى أصر على تناول كأس أخرى من الويسكى قبل الرحيل ..

ــ أين فردينان ؟

ووصل سؤالها الى سمعه من خلال الضباب ، فتقدم خطوة نحو سياج الشرفة ، وأغلق « فلبس » باب الســـيارة ولوح بيده ... وحرك الميجر جهـــاز السرعة .. وخيل الى فردينان أنه يســـمع صوتها تقول :

ــ تالا تالا !

ودار على عقبيه بحركة عنيفة ، فمن خلفه ســـمع صوتا غريبا شبيها بنشيج مكتوم .. ورأى كميل واقفا ، وكأنه صورة مجسمة للتعاسة

www.ibtesamah.com/vb

ـ ماذا تصنع هنا ؟
ـ لا شيء .. أنا ..
وكان هدير محرك السيارة الصاخب يترامى الى سمعهما من بعيد ، بعد أن تجاوزت بركابها الثلاثة قرية الأهالى .. وجلس فردينان على حافة المائدة ، وحملق فى كميل مقطبا ..
وقال كميل فى تلعثم :
ـ لو كنت أعلم ..
ثم سكت وقد أرتج عليه ..
ـ لو كنت تعلم ماذا ؟
ـ أؤكد لك أنى ظننت ..
وأدرك فردينان أن كميل مهموم بسبب زلته مع باليجى ... فصاح به :
ـ لا تكن أبلها ! وخبرنى كم فى سيارتى من الوقود ؟
ـ مائة لتر .. هل ستستعملها ؟
ـ ربما .. والآن دعنى وحدى من فضلك ، واذهب فاخرج السيارة لانى قد احتاج اليها .. ثم تفقد الفيلة
وأحضر كميل السيارة الى الباب الأمامى للدار .. ثم بدا عليه أنه لا يريد أن ينصرف ، فصاح به فردينان من نافذة حجرة النوم :
ـ ألم تسمع ما قلته لك ؟
ـ أذاهب أنت الى نيانجارا ؟
ـ ربما ..
وأغلق النافذة .. وتلفت كميل حوله فرأى باليجى ملتصقة بالحائط وهى ترقب السيارة ، وفى يدها الورقة ذات الجنيهات الخمسة ، ولكنها فيما يبدو لم تكن تدرى ماذا فى يدها .. لأنها كورت الورقة بأصابعها كأنها منديل صغير ، تنفس فيه أناملها عن توترها العصبى

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثانى عشر

إلهام

كان سميث ، صاحب الفندق فى بودى آلتى تقع على الطريق ،خبيرا بالحالة الجوية ، قادرا على التنبؤ بالطقس ، كأى فـــلاح عتيق ..
وقد حذر الميجر كروسبى عندما وصل الى بودى قائلا :

ــ اسمع نصيحتى ، وعد من حيث أتيت فورا .. فنحن على عتبات أمطار غزيرة ، وسيكون الطريق الى مزرعتك بركة عميقـة من الماء

و « سميث » هذا رجل متوطن بلجيكى ، وان كان اسمه انجليزيا .. وقد استقر فى هذه الجهة قبل انشاء الطرق الجوية .. بل وقبل شق الطرق الارضية . وفى تلك الايام الخوالى ، كان الرحيل فى هذه المنطقة معناه السير على الاقدام وسط الغابات الى ستانلى فيل التى تربطها بنهر الكونغو زوارق مائية عتيقة .. ومعنى العودة الى أوربا أن يقضى الانسان فى السفر ثلاثة أشهر على الاقل

وكان كروسبى و « فلبس » قد باتا ليلتهما فى جوبا ليتمكنا من توديع الليـــدى ماكنسون فى الصباح التالى على متن طائرة شركة الطيران الامبراطورية .. ثم ارتكبا غلطة كبرى ، هى تناول غداء دسم مع الافراط فى الشراب ، فلم يشرعا فى العودة الا فى ســـاعة متأخرة .. ووصلا الى الحدود بعد حلول الظلام . وكانت الامطار قد بدأت تنهمر مدرارا ..

فلما عادا الى بودى ، قابلهما سميث عند المدخل ضاحكا ، وقال :

ــ هأنتذا ترى ياميجر أنى كنت على حق وأراهنـــك بأى مبلغ أن الطريق غارق فى الماء تماما .. ثم أن القيادة أثناء الليل فى هذا الجو عملية انتحارية ..

www.ibtesamah.com/vb

فقال كروسبى :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .. أعطنا أولا زجاجة ويسكى

وكان فندق سميث محاطا بحديقة مترامية غناء ، تدخل البهجة على النفس .. والبناء نفسه صغير غارق فى الخضرة والازهار الفواحة. والطابق الارضى به حجرة مائدة كبيرة وصالون ومطبخ .. أما حجرات النوم ، فهى أكواخ صغيرة متناثرة فى الحديقة ..

والادارة والمطبخ فى ذلك الفندق على الطراز البلجيكى .. فهما أبعد ما يكون عن حالة تلك الفنادق الفخمة الموحشة النظيفة التى يديرها الانجليز فى سائر بقاع افريقيا .. والغلمان يستقبلون القادمين بابتسامة عريضة ، وهم يرفلون فى ثياب بيضاء ..

وسميث يعامل كروسبى معاملة الصديق لا العميل .. ويسامره على الشراب .. ويبذل له النصح فى كل ما يتعلق بالزراعة والجو بحكم خبرته الطويلة بشمس أفريقيا . وكروسبى يبدو كالثمرة الغريبة ، بخديه المحمرين ، وشعره المرجل بعناية كالثلج الابيض وثيابه الانيقة ، ورباط عنقه الحريرى المعقود باتقان . ومن نظرياته المقررة أن الرجل الذى يكن لنفسه أقل احترام ، لابد أن يحرص على تلميع حذائه بنفسه .. وكان حذاء الميجر لامعا كالمرآة على الدوام !

أترى كان الميجر يصغى لما يقول سميث ؟

قد يكون مصغيا ، وقد لا يكون .. فهو ينظر الى سميث ، ولكنه كان فى الحقيقة شاردا بأفكاره ، ويتمنى لو تركه البلجيكى لشأنه..

ولكن البلجيكى استطرد ، وهو يميل عليه عبر المائدة :

ـ وبهذه المناسبة .. هل استطاع صديقنا أن يصل فى الوقت المناسب ؟ لقد كان فى عجلة شديدة من أمره . ومن الواضح أن زمام أعصابه ، أفلت من يده .. فقد ملأ خزان السيارة من غير أن ينطق بكلمة ، ثم انطلق على الفور نحو جوبا .. وصحت من خلفه قائلا : « هل ستستقل الطائرة أنت أيضا ؟ » ولكنى لم أتبين رده تماما ، وأعتقد أنه كان يقول : « لست أدرى »

وكان « فلبس » هو الذى أجابه عن سؤال سميث ، وهو يصب شيئا من الصودا فى كأس الويسكى الذى أمامه :

www.ibtesamah.com/vb

ـ لقد استقلها : ..

ـ وهل تلقى أنباء سيئة من بلده ؟

وتعمد كروسبى أن يشيح بوجهه .. ولم يظهر عليه أى أثر للضيق الذى انتابه سوى هذه الاشاحة . وأكبر الظن أنه كان سيتجلد لاسئلة سميث فترة أطول ، لولا أن باب الفندق فتح بقوة فى هذه اللحظة ، واتجهت جميع الانظار الى القادم ..

وتحت المظلة أمام الباب ، كانت هناك سيارة صغيرة مصابيحها الأمامية مضاءة ، وطرازها يرشحها للمتاحف الاثرية ، لا لطرقات افريقيا الاستوائية .. وصاح القادم :

ـ هالو يا سميث

ـ مرحبا بك يا مكاسس ! .. من أين هبطت علينا هكذا ؟

واعتدل كروسبى فى مقعده ثم استدار نصف استدارة حتى لا يواجه القادم . ولكى لا يبدو عليه الاصغاء لما يتبادله الرجلان من حديث باللغة المحلية ، التفت الى « فلبس » وقال كأنه يلخص خواطره بخصوص أحداث ذلك اليوم :

ـ الحقيقة أن فردينان لم يراع أصول اللعبة ..

وكان فردينان قد اقتحم أرض المطار ، واندفع الى داخل الطائرة قبل رحيلها بأقل من دقيقة واحدة .. وقد اتخذ حيطته ، فابتاع تذكرة السفر مقدما من مكتب الخطوط الجوية .. وكان وجهه شاحبا واجما ، ولكن نظرة تحد كانت تطل من عينيه كأنه يقول للعالم أجمع :

ـ هأنذا قد أتيت كما ترون .. ولن يمنعنى شىء من الرحيل معها !

وأما الليدى ماكنسون التى كانت جالسة فى القمرة ، فتظاهرت بأنها لم تره ..

وقال « فلبس » الذى كان يرقب القادم الى الفندق باهتمام :

ـ من هذا ؟

فوضع كروسبى اصبعه على شفتيه ايذانا بأنه يفضل الا يخوض فى هذا الموضوع الآن .. وفى هذه الاثناء ، كان مكاسس وسميث يتحدثان بانهماك .. وكل منهما يبدو عليه السرور بلقاء الآخر .

www.ibtesamah.com/vb

وتناول سميث منشفة من فوق الرف وراح يدلك بها ظهر الرجل المبتل ، لان مكاسس لم يكن يرتدى سوى بنطلونا قصيرا .. أما صدره النحيل ، فعار تماما .. وقد صبغته الشمس بلون بنى ، ورأسه الضيق الطويل يتوجه شعر أشهب ..

والاسم الحقيقى للرجل اسم انجليزى قح .. فهو انجليزى فعلا . ولكن كل انسان فى أواسط افريقيا يناديه بالاسم الذى أطلقه عليه الاهالى بلغتهم الوطنية ، فاسم مكاسس يعنى «الرجل الجلد» أو الصلب

وهو قد قضى فى هذه الانحاء نحو أربعين سنة .. وهو طبعا قد عرف كروسبى لاول وهلة ، وان كان لم يحيه . ومهنة مكاسس الاصلية الهندسة ، وهو الذى اكتشف مناجم الذهب فى واطسا .. ويحتفظ حتى الآن بنصيب كبير من اسهمها .. وقال كروسبى لفلبس ، وهو يصب لنفسه كأسا أخرى :

ـ انه لم يراع أصول اللعبة .. وليس هذا صنيع « جنتلمان » !

ومكاسس أيضا لم يكن « جنتلمانا » بحسب مقاييس الميجر .. وهذا هو السبب فى أن الرجلين لا يتبادلان التحية أو الكلام .. فمكاسس له زوجة فى لندن يغدق عليها الاموال بسخاء ، ولكن ذوقه يستطيب الالوان المحلية من النساء . ولهذا يرفض مغادرة افريقيا ، وبأمواله اشترى لنفسه فى كل قرية تقريبا فتاة أو فتاتين ممن لم يكدن يجاوزن سن الطفولة .. ولم يكن يخفى هذا السر بل هو يتباهى بذلك ، ويأخذ أولئك الفتيات للنزهة فى سيارته العجيبة الشكل .. وربما صحب خمسا منهن مرة واحدة !

وكان هذا الفجور مغتفرا عند كروسبى ، لو أنه لم يضف اليه جريمة أبشع هى التخلى عن الطريقة الاوربية فى المعيشة ، ليتخذ مظاهر الاهالى فى الملبس والمأكل واللغة والمسكن وكل شىء ..

والتفت سميث الى « فلبس » وكروسبى ، وقال لهما :

ـ نعم أيها السيدان ، كانت نظرتى فى محلها .. فالطريق بعد أميال قليلة غارق تحت بحر من الماء ، وقد وجد مكاسس صعوبة شديدة فى الوصول الى هنا ..

واستلقى مكاسس فى مقعد متأرجح ، وأخذ يشرب الماء .. وكان

www.ibtesamah.com/vb

الهواء فى الحجرة حارا ، ولكن نسمات من الهـواء كانت تهب من الحديقة بين الحين والحين ..

وساد الصمت عشر دقائق ، لم يعكره الا صوت الآلة التى تولد الكهرباء فى أقصى الحديقة ، وصوت سقوط المطر .. واخيرا قطع الصمت المخيم صـوت سيارة تقف أمام الباب ، فأرهف سميث أذنيه متعجبا .. فمن عساه يأتى فى هذا الجو ؟!

ونهض سميث ، فأطل برأسه من الباب ، ولم يلبث أن أزاح ستار الخرز قائلا لسيدة ظهرت أمامه فى معطف واق من المطر :

ـ تفضلى بالدخول يا سيدتى ..

وكان المعطف الواقى من المطر يقطر ماء غزيرا ، لان الوابل المنهمر تسرب من سقف السيارة .. وبعـد أن خلعت السيدة معطفهـا نظرت حولها ، وسألت بعد برهة :

ـ أصحيح أننا لا نستطيع مواصلة السفر الليلة ؟

وبرز من خلفها فتى خلاسى ، يرتدى صدارا صوفيا نصفه أخضر ونصفه أحمر ، وقال وهو يغلق الباب :

ـ لقد أخبرتها أن المطر سيضطرنا للمبيت هنا هـذه الليلة .. أليس هذا صحيحا ياسميث ؟

وهذا الرجل الخلاسى أيضا ذو سحنة مألوفة فى تلك الجهات .. فهو يملك سيارة قديمة ، ينقل بها الركاب من مطار جوبا الى أى مكان يقصدونه . وسأل سميث الفتاة :

ـ هل وجهتك بعيدة ؟

ـ الى مزرعة البن التى يملكهـا المسيو جرو .. على بعد مائة وخمسين ميلا تقريبا ان صدقت الخريطة ..

ـ لن يمكنك المرور الى هناك .. فالطريق غارق فى الماء

ـ أوه ! ..

ـ وفضلا عن هذا ، فان فردينان رحل اليوم الى أوربا !

وكان الجميع ، ولا سيما « فلبس » ، يختلسون النظرات الى الفتاة الواقفة عند الباب .. فرأوها وقد اكفهر لونهـا ، وتلفتت تنشد مكانا للجلوس .. وكان « فلبس » هو الذى بادر بحمـل الكرسى الذى كان يجلس عليه الى حيث وقفت . وشكرته بابتسامة ثم سألته :

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل أنت متأكد أن فردينان رحل الى أوروبا ؟ .. هل أخبرك بذلك ؟ ..

فقال سميث :

ـ لقد مر من هنا أمس بسيارته فى الطريق الى مطار جوبا .. وهذان السيدان يعرفانه .. وقد أبصراه يلحق بطائرة الخطوط الجوية الامبراطورية صباح اليوم ..

وتطلعت فى تساؤل نحو « فلبس » ، فهز رأسه مؤمنا ..

وكانت اميلين ترتدى ثوبا رماديا بسيطا للغاية .. وقال السائق الذى ظل قريبا منها كأنها تحت حمايته :

ـ على كل حال لا مفر لك من المبيت هنا الليلة ، وقد أمرت لك بدجاجة مشوية .. وأؤكد لك أن كل شىء سيكون على ما يرام ، فسميث صديق قديم .. ثم بهذه المناسبة هل أنت عازمة على الذهاب الى المزرعة غدا بعد الذى سمعت عن سفر المسيو جرو ؟

ـ نعم .. أظن أننى سأذهب الى هناك على كل حال ، وغدا صباحا سأفضى اليك برأيى النهائى ..

وعلى غير توقع ، قال مكاسس :

ـ أنت خطيبته .. أليس كذلك ؟

ـ بلى .. كيف عرفت ؟

وتطلعت بدهشة الى ذلك الرجل الاسمر نصف العارى الذى يبدو أنه يعرف الكثير .. فقال لها :

ـ لقد مررت بالمزرعة هذا الصباح ، وتجاذبت الحديث مع كميل .. فهل تعرفين شيئا عن ذلك الخطاب الذى كان ينتظره من بروكسل ؟

ـ نعم .. عندى فكرة عنه ..

وكان هذا الخطاب هو الذى تسجل به الحكومة البلجيكية أحقية فردينان فى الامتلاك النهائى للمزرعة التى استأجرها منذ ست سنوات .. وكانت رحلته السابقة الى أوربا لهذا الغرض ، واتصل فعلا بوزارة المستعمرات البلجيكية ، وقد وعدوه بارسال القرار الرسمى فى مدى أسابيع ..

واستطرد مكاسس يقول :

www.ibtesamah.com/vb

ـ لقد وصل الخطاب فى يوم رحيله .. وسلطات نيانجارا تطلب فردينان بهذا الخصوص فى أقرب وقت ، فكميل كما تعلمين لايجسر على أن يتخذ أية خطوات رسمية على مسئوليته ..

ـ ولكن اذا كان الطريق غارق تحت الماء ..

وألقت نظرة أخرى نحو « فلبس » الذى أثار اهتمامها ، اذ خطر لها أنه طيار ليدى ماكنسون ومرافقها الذى ذكره فردينـــان فى رسائله ..

وقاطعها مكاسس قائلا :

ـ ان الطريق غارق تحت الماء فعلا ، ولكن سيكون فى استطاعتك أن تمرى غدا صباحا فى أمان .. وأنت يا سميث هل فى استطاعتك أن ترسل أحدا برسالة الى ماليرو ؟

ونادى سميث أحـد الغلمان ، فخلع سترته البيضاء .. وقال مكاسس للسائق الخلاسى الذى أحضر اميلين من جوبا :

ـ خذ هذا الغلام فى سيارتك الى ماليرو فى ثالث قرية على الطريق وسيكلف ماليرو مائتى رجل بالعمل طول الليل فى تحويل ماء المطر الى أحد الوديان على وجه السرعة .. وفى الصـــباح يكون الطريق مكشوفا ..

وانطلق السائق ومعه الخادم .. وعندئذ قال مكاسس لاميلين :

ـ كم أخذ منك ؟

ـ أتعنى السائق ؟

ـ نعم ..

ـ ثلاثة آلاف فرنك ..

ـ سرقة فاحشة ! ألف فرنك كانت فيها الكفاية . هل تعرفين قيادة السيارات ؟

ـ نعم ..

ـ فى هـــذه الحـالة من المستحسن أن تشترى ســيارته ، فستحتاجين اليها فى الذهاب الى نيانجـارا . وفى استطاعتى أن أحصل عليها منه بستة آلاف فرنك .. ومتى فرغ مأربك منها ، فى وسعك أن تبيعيها بسهولة بخمسـة آلاف فرنك

وكان كروسبى منصرفا الى التحديق فى كأسه ، وهو شـارد

www.ibtesamah.com/vb

النظرات بحيث يخاله الانسان لم يسمع حرفا واحـدا من ذلك الحديث .. وقالت اميلين ، وفى صوتها تردد :

ـ شكرا لك .. هذا كرم عظيم منك

والحقيقة أنها لم تكن تدرى من عساه يكون ذلك الرجل غريب الشكل ، الذى غمرها برعايته فجأة ، وندب نفسه لحماية مصالحها ؟ وبين الحين والحين كانت تلقى بنظرة الى « فلبس » كأنها تسأله النصح ..

وعلى حين غرة ، سألها مكاسس :

ـ هل تحملين توكيلا رسميا من فردينان ؟ توكيلا مفوضا ؟

ـ نعم .. عندى هذا التفويض ، مالم أكن تركته فى فرنسا ..

وكان فردينان قد وكلها رسميا قبل حضوره الى افريقيا كى تتم باسمه صفقة استيراد أسـمدة ترتبت عليهـا مشكلات قضائية طويلة . وقال لها مكاسس وهو يلقى بنظرة جانبية نحو « فلبس » وكروسبى :

ـ سأخبرك بمزيد من الامور فيما بعد ..

وسكت بعـد ذلك وانصرف عنها تماما .. والتفتت هى نحـو « فلبس » وهى تقول :

ـ أظنك الكابتن فلبس ؟ .. ومعذرة ان كنت مخطئة

ونهض « فلبس » ، وانحنى فوق اليد التى بسطتها اليـه .. ثم قال :

ـ نعم .. أنا « فلبس »

ـ كثيرا ما ذكرك فردينان فى خطاباته .. فهل هو سافر فعلا ؟

ـ لحظة واحدة من فضلك .. ريثما أقدم لك الميجر كروسبى الذى يدير مزرعة الفيلة لا تبعـد كثيرا عن مزرعة فردينـان .. ويعرفه معرفة جيدة

ـ أعرف الميجر أيضا من رسائل فردينان ..

ونهض الميجر من مقعده ، وانحنى فوق يد اميلين ، وطبع عليها قبلة كما فعل الشاب من قبل ، ثم بقى الاثنان واقفين فقالت :

ـ تفضلا بالجلوس ..

ـ الا تشربين شيئا ؟ ان المطر يبلل ..

www.ibtesamah.com/vb

فترددت برهة ، ثم قالت :

ـ شكرا لكما .. قد أتناول كأسا من الليكير .. والحقيقة أننى أصبت بدوار فى الطائرة بالامس ، واستيقظت فى الساعة الرابعة صباحا ..

وأطرقت الى الارض ، ثم سألت بسرعة :

ـ وهل الليدى ماكنسون سافرت أيضا ؟

ـ نعم .. استقلت الطائرة أمس .. وقد ودعناها

وابتسمت ابتسامة باهتة ، لم يفهم الرجلان الانجليزيان معناها لانهاتذكرت الالهام الذى خامرها وهى فى الطائرة بعد مغادرة مدينة «ملكال» مباشرة ، عندما شاهدت فى الجو طائرة أخرى من طائرات الخطوط الجوية الامبراطورية فى الاتجاه المضاد . وعلى حسب العادة اقتربت الطائرتان لتبادل التحية .. وحدثها قلبها بأن فردينان فى الطائرة الاخرى !

أجل انها لم تلمح فردينان ، ولكن هكذا حدثها قلبهـــا .. ومع هذا طردت الفكرة من ذهنها لانها غير معقولة ..

وسألتهما بصوت خفيض :

ـ وهل تنوى ليدى ماكنسون أن تعود ؟

وأجاب كروسبى ، وهو يحدق فيها بحدة :

ـ كلا .. انها فى طريقها الى اسطنبول حيث يقيم زوجها

ـ حقا ؟

كانوا يتبادلون الحديث همسا ، فلم يستطع مكاسبس أن يسمع شيئا من أطرافه . ووضع أحد الغلمان كأسا من نبيذ شارتر أمـام اميلين على المائدة .. وأخذت ترشف منه على مهل .. ثم ســـألت فجأة :

ـ هل أخبركما فردينان بشىء من خططه ؟

وبدت الحيرة على « فلبس » .. وأسرع كروسبى لنجدته قائلا :

ـ كلا .. فاننا لم نكد نراه الا لمحة خاطفة والطائرة تستعد للتحليق:

وقدم العشاء ففرق ذلك ثلاثتهم ، ذلك لان اميلين تناولت عشاءها على مائدة مستقلة .. وجلس سميث ومكاسبس يتعشيان معا على مائدة فى الركن ويتحدثان باللغة المحلية ، كعادتهما دائما ، لانهما يعتبران

www.ibtesamah.com/vb

نفسيهما من الاهالى تقريبا ، وقد قطعا كل صلة لهما بأوربا . ودخن « فلبس » السجائر بين أطباق الطعام ، وهو يرقب اميلين من طرف عينه ..

وعاد السائق أثناء تناول الحلوى التى كانت تتكون من البسكويت والمانجو .. ولم ترق لاميلين رائحة تلك الفاكهة ولكن طعمها أعجبها

وتبادل مكاسس مع السائق حديثا طويلا باللغة المحلية ، وبدا على ذلك الخلاسى الغضب الشديد .. ثم نادى مكاسس « أميلين » قائلا بالفرنسية :

ـ هل لك يا آنسة بالقدوم لحظة ؟

ولم ينهض مكاسس عند حضورها .. ولم يقدم اليها نفسه ، ولم يمد يده .. بل قال مباشرة :

ـ أجلسى من فضلك .. لقد رتبت كل شىء .. انه سيبيعك سيارته بستة آلاف فرنك . ولما كان قد أخذ منك ألفى فرنك زيادة عن الاجر المقرر لهذه الرحلة ، فكل ما يلزمك الان دفعه هو أربعة آلاف فرنك . فهل النقود حاضرة معك ؟

فأجابت وهى تفتح حقيبة يدها :

ـ نعم .. عندى نقود فرنسية ..

ـ اذن لا تعطه اياها .. سميث سيستبدل بها نقودا بلجيكية ، وستربحين بضع مئات من فرق سعر العملة . .

والغريب فى الامر أنه كلف نفسه كل ذلك العناء من أجلها من غير أن يظهر بادرة تودد أو لطف . وقام سميث بتبديل العملة ، وراجع العملية الحسابية المعقدة مكاسس ، ثم عد النقود للسائق الخلاسى الذى تناول المبلغ وهو متجهم ساخط ، وقال :

ـ والان كيف سأعود الى جوبا بحق الشيطان ؟

ـ انى ذاهب الى جوبا غدا صباحا .. وسآخذك معى

ثم التفت مكاسس الى اميلين قائلا :

ـ لا توجد محطات للبنزين من هنا الى المزرعة .. فخذى معك مائة لتر من البنزين . واستمرى على الطريق مسافة مائة وثلاثين ميلا الى ان تجدى صندوق خطابات مثبتا الى شجرة ، وعندئذ انعطفى الى اليمين .. وستجدين البيت على مسافة خمسة وعشرين ميلا

www.ibtesamah.com/vb

ـ لقد كنت تحدثنى منذ قليل عن التوكيل المفوض ..

ـ آه .. هذا ليس من شأنى ، ولكنى سأتطوع بالنصيحة ..

ـ أية نصيحة ؟

ـ أن تبادرى بدفع أى مبلغ تطلبه الحكومة البلجيكية فى سبيل تحويل الايجار الى ملكية دائمة ، وألا تضيعى وقتا طويلا فى التردد والتفكير حتى لا تغير الحكومة رأيها ، فقد تسقط الوزارة وتتولى الحكم وزارة أخرى فى أى وقت . وأنا اعتقد أن فردينان له صلة طيبة بالحكومة الحاضرة ..

ـ وهل رأيته أخيرا ؟

ـ فردينان ؟

ـ نعم ..

ـ كلا .. لم أره فى المدة الاخيرة

ـ وهل كنت تراه كثيرا فيما مضى ؟

ـ مرة فى العام على الاكثر .. ولكنى أعرفه جيدا ..

وبعد تردد قصير سألته همسا :

ـ وهل تعرف لماذا سافر ؟

فهز كتفيه وأشاح بوجهه .. ولكنها أدركت أن الرجل يكن لها نية طيبة رغم صمته ، وشكرته بحرارة ، فقاطعها قائلا :

ـ لا تذكرى شيئا كهذا ! طاب ليلك !

وودعها الانجليزيان أيضا ، وأوى الجميع الى حجراتهم ..

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثالث عشر

أتدركين ؟

وفى الساعة الثامنة صباحا ، كانت الأمطار مستمرة فى الهطول، ولكن السحب صارت أخف قليلا من اليوم السابق .. وجىء بالسيارتين الى خارج الفندق ، وسيارة اميلين فى المقدمة ، وقد أدارت محركها .. وسميث يروح ويغدو بين السيارتين ليتأكد من امتلاء الخزانين ، ومن وجود جميع الحقائب فى مواضعها .. ولما تقدم « فلبس » من اميلين ، ابتسم الميجر لنفسه ابتسامة خفية

وقال لها فلبس :

ــ ان صديقنا الميجر كروسبى سيقود سيارته بسرعة هائلة كعادته . ولما كنا ننوى المرور بالمزرعة على كل حال ، لنلقى نظرة على الطائرة ، فأنا اقترح أن تأخذيني فى سيارتك .. ومعذرة اذا تطفلت عليك

فقالت بسرعة :

ــ كلا .. اطلاقا .. تعال معى

وفى هذا الحين ، كان مكاسس ينظر شزرا .. وهو حانق على ترددها بين المعسكرين ، ولكنها طبعا لم تكن تدرى شيئا عما بينه وبين الميجر من احن وقطيعة

وصعد «فلبس» الى المقعد بجوارها ، وتحركت السيارة تخوض بين الحين والحين بركا من الماء المتجمع .. وعلى جانبى الطريق خلجان عميقة أشبه بالخزانات ، اشتغل العمال طول الليل فى تحويل المياه اليها حتى انكشف الطريق

وبعد ميلين تقريبا ، مرقت السيارة ذات الهيكل المصنوع من الألومنيوم اللامع .. ولم يلبث الميجر أن اختفى بها عن الانظار

www.ibtesamah.com/vb

بسرعة لا يشق لها غبار

ولم يكن فردينان جرو يشعر بأى ميل نحو « فلبس » لأنه فى نظره شاب مغرور .. أما اميلين فشعرت منذ أول وهلة انها تقف معه على مستوى واحد ، بل لعلها شعرت أنها أعلى مستوى منه قليلا ، لأن فطرتها دلتها على أن « فلبس » فى الحقيقة شاب خجول . وليست جرأته على الناس الا من قبيل المداراة لذلك الخجل !

وكانت اميلين هى التى فاتحته فى الحديث قائلة :

ـ وهل استقل فردينان الطائرة نفسها التى استقلتها الليدى ماكنسون ؟

ـ نعم .. وقد لحق بها فى آخر لحظة ، ولم تكن لدينا أدنى فكرة أنه آت على أثرنا ، ولا بد أنه تكلم تليفونيا من بودى كى يحجز مكانا فى الطائرة ، ولا شك أن سميث يعرف الخبر اليقين ، ولكنى نسيت أن اسأله

وأعقبت ذلك فترة صمت طويل .. ومرا فى طريقهما برجل وامرأة من الاهالى يمشيان جنبا الى جنب .. الرجل يحمل قوسا وسهاما ، والمرأة تحمل على رأسها لفافة من الحصير ، وبمجرد أن سمعا صوت السيارة ، تركا الطريق وتواريا عن الانظار بين الاعشاب الطويلة المبتلة بماء المطر ..

وأخيرا قطع « فلبس » الصمت سائلا :

ـ هل كان فردينان يعلم أنك قادمة فى الطريق ؟

ـ كلا .. كان الاتفاق بيننا يقضى بأن أحضر بعد انتهاء موسم الامطار ، وان تقوم الارسالية فى نيانجارا بعقد قراننا هناك

ولم يعلق على كلامها ، وساد الصمت فترة أخرى ، ثم قال :

ـ هل تشعرين بالتعب ؟ هل أقود أنا قليلا بدلا منك ؟

ـ كلا .. وشكرا لك ..

والحقيقة أن قيادة السيارة أفادتها كثيرا لانها أبقت ذهنها مشغولا بمشكلات الطريق الذى يكثر فيه الحفر .. وزاد الطين بلة أن سقف السيارة المصنوع من الجلد كان يتسرب منه الماء ، ويتساقط على جبينها وعينها وذراعها اليسرى .. أما هو فذراعه اليمنى هى التى

www.ibtesamah.com/vb

تعرضت للبلل الشديد ، وأخيراً سألته اميلين :

ـ هل الاقليم كله على هذه الشاكلة ؟

ـ هكذا الحال على طول الطريق غالبا ·· ولكن منـــاظر الخضرة والاشجار تبدو أبهج بكثير حين تطلع الشمس وتنقشع السحب

ـ والاهالى ؟ ··

ـ كما رأيت بنفسك ·· قوم مسالمون ودعاء كأنهم الاطفـــال فى براءتهم وسذاجتهم ، وقد أخبرنى فردينـــان أن قبيلة لوجوس هى أشد القبائل وداعة ورقة ، وأملحها شكلا وقواما ··

ـ وهل كانت اصابة الليدى من جراء سقوط الطائرة شديدة ؟

ـ هذا ما ظنناه فى البدآية ·· وكان اعتقادها أن بساقها كسرا · ولكن الحقيقة أن مفصل الركبة أصابه إنتقال خفيف ·· هل لك فى تدخين سيجارة ؟

ـ شكرا لك أنا لا أدخن ··

ـ ألا يضايقك أن أدخن ؟ ··

ـ اطلاقا ··

ومع هذا فكلما تطاير الدخان من سيجارته نحوها ، كان يبعـده براحة يده عنها ·· واستمر الصمت دقيقتين الى أن سألته :

ـ من هذاالرجل الذى جعلنى أبتاع السيارة ؟

فضحك « فلبس » وقال :

ـ انجليزى آخر ! ·· الحقيقة أنك سيئة الحظ

ـ لماذا ؟!

ـ لانك فى أول يوم من حلولك بالكونغو لم تقابلى الا انجليزا ·· والبلجيكى الوحيد هو سميث ·· وله كما ترين اسم إنجليزى ، وهو على الارجح ينحدر من سلالة انجليزية ··

ـ وماذا يصنع ؟ ··

ـ أتعنين سميث ؟ ··

ـ كلا ·· بل أعنى الرجل الاخر ·· مكاسس فيما أظن ··

ـ انه لايصنع شيئا يستحق الذكر ·· كل ما هناك أنه يستمتع بالحياة على طريقته المفضلة · وقد اكتشف منذ أربعين سنة منجما كبيرا للذهب ، أفاء عليه مالا وفيرا ·· ولكن ما اكتشفه حقـــا هو

www.ibtesamah.com/vb

افريقيا ، وسحر الحياة الفطرية فيها بكل معاني تلك الحياة ... فتأقلم ملبسا وسلوكا ولغة.. والميجر كروسبى لايطيقه، ويقول دائما أن الانجليزى الذى يترك قوميته باختياره ليندمج فى القومية الافريقية عار على وطنه !

ـ ولكن هذا الانجليزى لا أعتقد أنه ينتسب حقا للقومية الافريقية .. لعل الاصح أنه يريد فقط أن يستفيد من الحياة الفطرية فوائد لاتسمح بها قيود المدنية الاوربية ..

ـ فعلا .. فعلا ..

ـ وهل كان الميجر صديقا لفرديناند ؟

ـ كانا يلتقيان بين الحين والحين .. ولكن فرديناند رجل محب للاعتكاف فيما يلوح لى .. فلولا الصدفة التى جعلت الطائرة تصطدم بالشجرة فى مزرعته فى ذلك اليوم ، لما عرفنا بوجوده فى الكونغو ..

فقالت وهى تفكر :

ـ حقا ؟!

ـ آسف جدا ! ..

ـ لماذا ؟

ـ أعنى أنه ما كان ينبغى أن أشير إلى هذه المسألة ..

والحقيقة أنه كان يشعر بعدم ارتياح .. وزاد عدم ارتياحه بعد تلك النظرة السريعة التى رمقته بها .. وأدهشه أن تسأله بصراحة :

ـ وما شعورك أنت ؟

وأدرك على الفور ماذا تعنى .. ولكنها أربكته بسؤالها ، وأخذته على غرة .. فارتسمت على شفتيه ابتسامة مغتصبة ، وقال :

ـ هوه ! ليس الموقفان سواء كما تعلمين !

ـ كلا ؟

ـ ان الليدى ماكنسون كانت صديقة عزيزة جدا .. زميلة حقيقية بالمعنى الرياضى .. هل تدركين ما أرمى اليه ؟

ـ انى أحاول جهدى ..

وشعر هذا الشاب الانجليزى بدهشة عظيمة من أمر نفسه فهو قد نشأ منذ طفولته على اعتبار الكلام فى موضوع عواطفه الخاصة شيئا محرما لايليق الخوض فيه. وهاهو ذا يفعل مالم يكن ليقدم عليه

www.ibtesamah.com/vb

مع رجل ·· هاهو ذا ينفض بين يدى فتاة ـ قابلها فى الليلة السابقة لاول مرة فى حياته ـ أخطر وأدق الخصائص ··

واستطرد « فلبس » قائلا :

ـ فرديناند لم يفهم الموقف اطلاقا ·· كان يعتقد أنى أغار منه !

وبدا عليه التردد ·· ولكن هدوء ملامحها ونظرة عينيها شجعاه :

ـ ان ليدى ماكنسون كانت بالنسبة لى بمثابة ·· بمثابة بنت عم ولعلك فهمت مرادى من هذا التعبير · وقد تقابلنا لاول مـــرة فى سفينة ذاهبة الى تاهيتى · وكان سائر الركاب ثقلاء الظل ، ومعظمهم من كبار الموظفين ·· ولهذا قضينا معظم الوقت على ظهر السفينة معا نأخذ حمامات الشمس جنبا الى جنب ، ونقطع النهار ـ أتصدقين ؟ ـ فى قراءة الشعر ·· فالليدى ماكنسون امرأة واسعة الاطلاع بصورة هائلة ··

ـ حقا ؟

وكانت فى صوتها رنة تهكم خفية ، لم يفطن اليها « فلبس »

ـ وسير رونالد زوجها يكره الرحلات والاسفار ·· وهو حجـــة فى الامور العسكرية · وكل ما ينشده من الدنيا أن يترك فى ســـلام ·· عاكفا على خرائطه ·· أتدركين ما أرمى اليه ؟

واستطاعت فى هذه المرة أن تقول من غير تهكم :

ـ نعم ··

ـ ولكن فرديناند أساء فهم الموضوع كله ·· وقد حاولت أن أشرح له كل شىء ، ولكن بغير جدوى

وتلت ذلك فترة صمت ·· وكانت السيارة تخترق بهما قرية من قرى الاهالى ، وما كادوا يلمحون السيارة حتى لاذوا بأكواخهم

وأخيرا قال « فلبس » :

ـ أعتقد أنه متى وصل الى هناك سيفهم كل شىء ··

فسألته اميلين بدهشة :

ـ الى هناك ؟

ـ الى اسطنبول ·· فالسير رونالد له جناح فى مصيف الســـفارة ولكنه يفضل عادة الاقامة فى مسكنه العصرى الكبير فى بيرا وهى الضاحية الاوربية فى اسطنبول ·· هل تعرفينها ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ لا ....

ـ إنها أشبه بضاحية أوتى فى باريس .. الصغار فيها يتكلمون جميع اللغات الاوربية لانهم أبناء رجال السلك السياسى الذين يتنقلون بين العواصم ، والمربيات كلهن فى ثياب التمريض الرسمية ، والحياة عبارة عن جولة كبيرة بين حفلات الشاى وحفلات البريدج وحفلات الرقص والحفلات الساهرة وما الى ذلك من الاشياء التى تقتل الانسان سأما وضجرا

ولم تستطع اميلين أن تدرك ماذا يعنى : أتراه يقصد أن هذا الجو الذى يحيط بزوجة الدبلوماسى الانجليزى ، سيروع فرديناند بفخامته ، فيشعر بالضآلة ويبتعد عن الليدى ماكنسون ؟ أم عساه يقصد أن وجود الليدى بين أطفالها وأصدقائها سيؤثر فى نفسيته ويبتعد عن تعكير صفوها ؟

وأخرجها من تفكيرها صوت « فلبس » وهو يقول :

ـ بعد أربعين ميلا سنصل الى صندوق البريد

وانقضت الاربعون ميلا فى صمت .. وكانت أميلين أول من رأى الصندوق الكبير وعليه الحرفان ف. ج .. فها هنا اذن كان يضع كل أسبوع رسائله اليها .. ودارت بالسيارة الى اليمين دورة حادة وزادت من السرعة وهى لا تدرى ، فوصلت الى البيت فى دقائق ..

وكانت السيارة ذات الهيكل المصنوع من الالومنيوم تقف غير بعيد من الطائرة التى تم نقلها الى مكان قريب من الدار ..

واقترب شاب طويل يرتدى البزلك من باب السيارة ، وفتحه وهو يقول بحماسة شديدة :

ـ مدموازيل أميلين !

فقالت له بهدوء تام :

ـ هالو كميل !

ـ عندما وصل الميجر كروسبى لم أكد أصدق ..

فقاطعته قائلة بهدوء أيضا :

ـ خذ حقائبى من فضلك الى حجرة النوم .. أما الحقائب الثقيلة فستصل بالسفينة .. وسيستغرق هذا أكثر من شهر

وكانت نظراتها الفاحصة تسجل جميع التفاصيل التى تحيط بها

www.ibtesamah.com/vb

.. ولكن مظهرها الخارجى لم يكن يدل على ذلك ، فبدت كأنها امرأة تعود إلى بيتها المعهود بعد غيبة لم تطل سوى بضعة أسابيع

وسألت وهى تصعد الى الفرندة :

ـ ماذا تحب أن تشرب يا كابتن « فلبس » ؟ هل لك مدة طويلة هنا يا ميجر كروسبى ؟

وبدا السرور المقترن بالدهشة على الميجر ، لانها خاطبته فى هذه المرة بانجليزية خالية من اللكنة تقريبا .. انجليزية سليمة للغاية وأجاب :

ـ كلا .. من مدة غير طويلة

ـ يا كميل !

ـ نعم يا آنسة ..

ـ أتمنى أن يبقى الميجر كروسبى ، والكابتن « فلبس » هنا لتناول الغداء . ولديك فيما أظن كل ما يلزم لذلك ..

ـ نعم يا آنسة .. لدينا سمك طازج صدناه من النهر ، وأطعمة معلبة متنوعة

ولم تدرك مبلغ تعبها الى أن استلقت على مقعد طويل ، فلم تستطع حراكا ولا كلاما لمدة طويـــلة .. وبصعوبة استجمعت قوتهـــــا لتقول :

ـ اشربا كما تحبان من هذا الويسكى

ثم وضعت يدها المبتلة بماء المطر على جبهتها الحارة ، وأغمضت عينيها ، فبدا لون وجنتيها شديد الشحوب

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الرابع عشر

القطة الجهنمية

بعد الغداء رحل الانجليزيان فى سيارة الميجر ٠٠ ووقفت اميلين فى الشرفة تودعهما ، ثم عادت الى البهو حيث الزجاجات الفارغة ومنافض السجائر المملوءة بالرماد ٠٠ وسمحت للتعب أن يرتسم على ملامحها وجسمها وكتفيها ٠٠ وتنهدت وهى تقول لكميل :

ـ لقد أتعبانى جدا ببقائهما للغداء ٠٠

وكأنها نسيت أنها هى التى دعت « فلبس » والميجر للبقاء ٠٠ ولم يكفها تقديم الغداء ، بل أطالت الحديث بعده معهما ٠٠ كل هذا كى تبعد عنها لحظة الوحدة التى حلت أخيرا ، ولم يعد هناك مناص من مواجهتها ٠٠

ـ اجلس على هذا المقعد ياكميل ٠٠ ويجب أن تعلم أنه لا لزوم للرسميات فيما بيننا ٠٠

والحقيقة أنهما من سن واحدة ، وترجع معرفتهما الى الطفولة الاولى ٠٠ وكان يناديها فيما مضى باسمها المجرد

ـ لقد أذهلنى حضورك فجأة على هذا النحو ٠٠ فأنت آخر شخص كنت أتوقع قدومه

ـ اسمع ياكميل ٠٠ لا حاجة بى لسؤالك كيف حدث ذلك ٠٠ فأنا أعرف مثلما تعرف ٠٠ ولكن هل تظن أنه سيعود ؟

ـ أنا متأكد أنه سيعود ٠٠

ـ وما الذى يجعلك على يقين من عودته ؟

ـ لانه لابد أن يشفى ان عاجلا أو آجلا ٠٠

فابتسمت ابتسامة واهنة ، وقالت :

ـ اذن أنت تظن أنه مريض ؟

www.ibtesamah.com/vb

ودارت عينيها فيما حولها ، ثم قالت :
ـ هل فى هذه الحجرة كانا يقضيان معظم وقتهما ؟
ـ كلا ٠٠ بل فى الشرفة ٠٠ ولم تكن هناك أمطار ٠ ولذلك كان الجو مشحونا بكهرباء العاصفة التى لا تريد أن تنفجر

وبعد برهة صمت ، سألته :
ـ هل تعرف رجلا يسمونه مكاسس ؟
ـ نعم ٠٠ وهو صديق فردينان
ـ أوه ! سنتحدث الآن فى مسائل العمل ٠٠
ـ ألا تبقين هذا الى الغد ؟ من المستحسن ان تنالى قسطا من الراحة
ـ كلا ٠٠ بل أن مناقشة الموضوعات الجدية ستفيدنى ، وبهذه المناسبة هل الفتاة التى قامت بالخدمة على مائدة الغـــداء هى بعينها ٠٠٠٠ ؟

فأومأ برأسه ٠٠
ـ اطلب منها ان تأتى ، لان الفرصـــة لم تتح لى كى اتأملهـــا جيـــدا

وبقيت باليجى واقفة وعيناها تحملقان فى استطلاع ودهشة ٠٠٠ واميلين تتفحصها بنظرها فى هدوء وتمعن
ـ أنت اذن باليجى ؟
ـ نعم يا سيدتى ٠٠
ـ أنت فتاة مليحة ٠٠ والآن اذهبى

وتحاملت اميلين على نفسها حتى حجرة فردينان ، وتناولت قرصا من الاسبيرين لان رأسها كان ثقيلا كالرصاص ، وعروق عارضـيها تنبض بشدة ٠٠ وجلست على حرف الفراش ، ثم استلقت لتستريح ربع ساعة كى تترك لقرص الاسبيرين أن يؤتى مفعوله ٠٠ وســاد حولها الصمت الا من صوت سقوط المطر ٠٠

وبعد ساعة ، شعر كميل بالقلق ٠٠ فأطل عليها ورآها غارقة فى النوم ، وهى بكامل ثيابها ٠ ولم تكن قيادة السيارة هى التى اتعبتها لانها هى التى تقود دائما سيارة أبيها الذى لا يحذق القيادة ٠٠ ولكن التوتر العصبى هو الذى أضناها ، فاستغرقت فى النـــوم حتى الصباح الباكر ٠٠

www.ibtesamah.com/vb

وفى الثامنة صباحا أستقلت السيارة من جديد ، وبجانبها كميل ٠٠ وحاول كميل فى البداية أن يجاذبها الحديث ، ولكنهـــا كانت متصلبة الملامح جامدة النظرة ، يبدو عليها أنها لا تفكر الا فى الطريق الممتد أمامها ٠٠ فكانت لا تجيب على كلامه الا باشارآت من رأسها ٠٠

وبعد ساعة ، أشرقت الشمس فجأة من بين السحب ٠٠ ثم فجأة انقطع المطر ، كأنما كان هناك صنبور مفتوح ثم أقفل ٠ وبعد نصف ساعة أخرى ، كان الطريق جافا تماما ٠٠ وان كانت جـــداول من مياه المطر المتجمعة تنساب على الجانبين نحو الوهاد المنخفضة ٠٠

انهما الان على مسافة اثنى عشر ميلا من نيانجارا ، وفجأة أجفلت اميلين وأرهفت سمعها لانها سمعت صوتا غريبا لم تستطع تحـديد مصدره ، وهل هو قريب أو يبعد أميالا كثيرة عنها ٠٠ انه يشـــبه صوت جيش زاحف

وأدرك كميل الموقف ، وقرأ الحيرة على ملامحها ، فقال :

ــ انها طبول التوم توم ٠٠ وسيقام احتفال غدا فى نيانجـــارا ، ولذلك تزحف القصائل والعشائر الوطنية وهى تدق الطبـــول من أعماق الغابات وهذا المهرجان يقام مرتين فى السنة باحتفال رسمى، ويجتمع بمناسبته شيوخ العشائر لمناقشة أهم مسائل الاقليـــم ، وليفصلوا فى أهم القضايا من قتل وزنا وسرقة ماشية ٠٠ انها أشبه بمحاكم وطنية عليا على حسب عرف البلاد الموروث

ــ خبرنى يا كميل ٠٠

ــ نعم ٠٠

ــ أوه ٠٠ لا شىء ٠٠

ولم يستطع أن يخمن ماذا كانت تريد أن تسأله ٠٠ ثم استطردت

ــ هل هذه هى المدينة ؟

ــ نعم ٠٠ دورى يسارا عندما تدخل الحديقة

وكانت الحديقة كبيرة جدا ، أكبر من حديقة سميث ، خضرتهـا يانعة وحمرة أزهارها فاقعة ٠٠ وفى وسطها ثلاثة أبنية أنيقة أشبه بالفيللات المقامة على شاطىء الريفييرا ٠٠ ووجهها كميل قائلا :

ــ اتجهى إلى البناء الاوسط ٠٠ فهو مكتب الحكومة ٠ أما البيت الكبير الى الجهة اليمنى فهو بيت المأمور ، والبيت الآخر يقيم فيـــه مســـاعده

www.ibtesamah.com/vb

وكانت الحديقة حافلة بالاهالى ·· بعضهم مستلق فى الشمس ، وبعضهم يتمشى أو يتجاذب أطراف الحديث

وكان باب المبنى الاوسط مفتوحا ·· وصعدت اميلين الدرج يتبعها كميل · وفى حجرة كبيرة ، رأت رجلين يعملان ·· أحدهما أبيض والاخر أسود ، الابيض يرتدى بنطلونا قصيرا أبيض ، والاسود يرتدى بنطلونا قصيرا من الكاكى · وقال كميل للرجل الابيض

ــ طاب صباحك يا مسيو بوديه ·· هذه الآنسة تاسان خطيبة فردينان

وبين المحابر والملفات والاستمارات ، بدا جورج بوديه فى ياقته المنشاة ، ورباط عنقه الاسود ، صورة مجسمة للتعاسة ·· وقال من غير أن ينهض واقفا ، وبصوت جاف ونظرة متسللة أدهشت اميلين :

ــ اجلسى ··· وأظنك تريدين مقابلة المأمور ، ولكنه بالصدفة ليس فى مكتبه الآن ··

وأدركت اميلين من لمعان عينيه أن الرجل سكران ، مع أن الساعة لم تجاوز العاشرة صباحا · وبعد برهة سألها :

ــ هل معك جواز سفر ؟

ــ نعم · وقد أحضرته معى

ــ وتصريح بالاقامة فى الكونغو ؟

ــ سأطلب هذا التصريح ·· ولكنى حاصلة على تصريح مؤقت (ترانزيت)

ــ عليك أن تسوى هذه الامور مع المأمور ··

فسأله كميل :

ــ وأين هو الآن ؟

فأشار بوديه بقلمه عبر الطريق الى مظلة كبيرة من أغصان الشجر ، على بابها لافتة تحمل هذه الكلمات « محكمة الشرطة للاهالى » · وأمام الباب زحام من السود ··

ــ ومتى ينتهى من المحكمة ؟

ــ انه لا ينتهى أبدا · ولكن متى ضجر رفع الجلسة الى اليوم التالى ···

ونهض بوديه ففتح دولابا توارى خلف بابه ، ولكنهما سمعا صوت

www.ibtesamah.com/vb

سدادة زجاجة تنزع ، وبعد دقيقتين عاد الى مقعده ، وسألهما بخشونة :

ـ هل تنويان الانتظار هنا ؟

فقالت اميلين ، وقد بدأت حرارة المكان تضايقها :

ـ طالما حدثنى فردينان عن زوجتك فى خطاباته .. فهل استطيع أن أزورها ؟

فانتفض جورج قائما ، وكأنه سينفجر غضبا .. بيد أنه هدأ فجأة وقال ، وهو يضحك :

ـ أنت اذن تريدين أن تزورى « يت » ؟ كم سيكون هذا ممتعا ! انها فى ذلك البيت .. الى اليسار

وفى الخارج سألت كميل :

ـ ما خطب هذا الرجل ؟

ـ لا أدرى .. ولكن ربما كان مصابا بمقدمات حمى الدنج !

واجتازا الحشائش التى كان يعمل على تهذيبها حفنة من المسخرين ومن ورائهم جندى بلجيكى فى يده سوط . وبعد دورة صغيرة بين الشجر ، وجدا نفسيهما عند مدخل بيت بوديه .. وصاح كميل عدة مرات :

ـ هل يوجد أحد هنا ؟

وكانت جميع الابواب مفتوحة ، فشاهدا بهوا غير مرتب الاثاث فيه مائدة عليها بقايا طعام الافطار ، وبيجامة رجل ملقاة على الاريكة .. ولمحت اميلين غلاما يسترق النظر من وراء البيت . ثم تقدم كميل ودخل البيت ، وأخذ يطرق جميع الابواب ، الى أن سمع صوت امرأة يرتفع حادا مثل الصرير فى غضب :

ـ من هناك ؟ ماذا تريد ؟ ..

وتراجع كميل . وتقدمت اميلين .. وبعد لحظة ظهرت يت ترتدى الروب ، وشعرها متهدل فوق خديها المندبين بالعرق ..

ـ من ؟

ـ أنا خطيبة فردينان جرو .. انك تذكرينه طبعا ؟

فألقت يت بنفسها على الاريكة ، وأخذت تنتحب وتقول :

ـ ماذا تريدين منى ؟ اذهبى .. أرجوك أن تذهبى ! بل ابقى ! آه

www.ibtesamah.com/vb

لو تعلمين كم أنا مريضة وسأمانة من كل شيء ..

وفجأة رفعت رأسها ، وقالت باهتمام :

ـ وأين فرديناند ؟ هل هرب حقا مع تلك الانجليزية ؟

وأشارت الى مقعد قريب منها ، وقالت

ـ اجلسي من فضلك .. انك لاتستطيعين أن تفهميني طبعا ... ولكني سأقول لك شيئا في وسعك أن تبلغيه لكل إنسان مسئول عندما تحين الفرصة المناسبة . ليس تحت يدى نقود ، ولهذا لا أستطيع أن أركب الطائرة ، وأرحل عن هذا الجحيم . ولا مفر لى من البقاء والاستسلام لكل ما يحدث .. هل رأيت جورج ؟

ـ نعم .. كنت في مكتبه الآن ..

ـ وما رأيك فيه ؟ تكلمي بصراحة ..

وكان كميل هو الذى أجاب بلباقة قائلا :

ـ كان يبدو منحرف المزاج قليلا .. ولعله مصاب بحمى ..

فضحكت يت ضحكة خشنة ، وقالت :

ـ أهذا ما ظننتما ؟ وكذلك كنت أظن في البداية . وحاولت أن أعالجه ، ولكن حالته ازدادت سوءا يوما بعد يوم . وأستطيع أن أدلكما على موطن علته .. انها ليست الحمى ، وانما بداية الانهيار العصبى التام .. بداية الجنون . وهذه هى حالى أيضا ! مصير بديع .. أليس كذلك ؟ ان الذى يشغل ذهنى الان سؤال واحد ، هو : من منا نحن الاثنان سيقتل الآخر ؟!

فقالت اميلين بحرارة :

ـ لايمكن ان تكون الامور بلغت هذا الحد من السوء ، .. أنا متأكدة أنك تبالغين

ـ أنا أبالغ ؟ من السهل عليك أن تتكلمى بهذه اللهجة لانه لم يكتب عليك أن تعيشى فى هذا البيت الملعون .. جربى المعيشة هنا أسبوعا واحدا فقط ! هل تعرفين كوستمانس المأمور ؟

ـ كلا .. لم أره بعد

ـ آه .. ولا زوجته ، تلك القطة الجهنمية ؟

ـ كلا ...

ـ انهما المسئولان عن كل شيء حدث أو سيحدث لنا ..

www.ibtesamah.com/vb

وانطلقت بت تتكلم بسرعة ومن غير توقف ، ولو لتلتقط أنفاسها :

ـ أردت أن أقوم بالواجب كما ينبغي .. وفي يوم وصولي ذهبت لزيارة مدام كوستمانس، ولست أدري كيف يكون شعورك ، اذا أغلق انسان الباب في وجهك ، وقال لك أنه صاحبة الجلالة ستستدعيك للمقابلة عندما يتراءى لها ذلك ! أي حق لها في أن تعاملني بهـــذا الازدراء ؟ فزوجها مأمور المركز وجورج مساعده .. وهما في ســلك واحد بالخدمة .. ولكن كوستمانس رجل فظ قليل الحياء . وقد علمت فيما بعد أن سلف زوجي في عمله استقال من الخدمة ، وضحى بالمعاش وبكل شيء حتى لا يعمل تحت رئاســة كوســتمانس . وكوستمانس ساخط ينفس عن سخطه في مرءوسيه .. فهو مغضوب عليه ، نقل الى هنا عقابا له مع الحرمان من الترقية الى الابد . ولهذا يسيء معاملة الناس ، ويزداد سوء خلقه بمضي الوقت لانه لايستطيع الخروج من هذا المكان النائي ، مع أنه لم يتجاوز الثلاثين .. وزوجته ابنةمحاممشهور في بروكسل ، ولاهم لها الا البكاء علىحظ زوجها العاثر .. انهما يكرهان هذا العمل وهذه البلاد ، كما يكره السجين سجنه . ويكرهان على الخصوص الشبان الذين قد يصلون بالترقي الى منصب محافظ أو وكيل محافظة .. بينما يبقيان هما هنا في وظيفة المأمور الى نهاية العمر . آه لو رأيت المأمور ، وكيف يزجر جورج في كل دقيقة ، وكيف يوبخه بفظاظة اذا تأخر عن مواعيــد المكتب دقيقة واحدة !

وصمتت برهة ، ثم استطردت قائلة

ـ لقدولدت في شرق باريس ، قرب الباسيل .. انهحيمتواضع جدا ، ولكني لا أخجل من ذلك . ونشأت هناك على أن أقول للاعور أنت أعور ، ولا أحاول تخفيف كلماتي . وطبعــا لم أكتم رأيي في المأمور وزوجته ، وأخذت ثأري تماما . ومنذ تلك اللحظة ، والمأمور يرفض أن يحيي جورج أو يكلمه الا زجرا وتوبيخا ، ومناقشة الاعمال الرسمية تتم بينهما عن طريق الكتابة !

وأخذت نفسا سريعا ، ثم أسرعت تستطرد :

ـ هل لاحظت أن جورج تفوح منه رائحة الخمر ؟ طبعا لاحظت ، فهو يشرب باستمرار وهو في حالة رعب من فقدان وظيفته ، ويخشى

www.ibtesamah.com/vb

ألا يحصل على وظيفة أخرى ·· ويقول دائما انه من المستحيل أن يحصل على عمل فى أوربا · وعبثا جرب حظه هناك من قبل ·· ونوبات الملاريا تعاوده ، وهو يلقى كل الذنب على ، لانى أفسدت العلاقة مع المأمور ، وفى كل يوم نتشاجر على مائدة الافطار ···

وتململت اميلين فى مقعدها ، فصاحت يت بصوت باك :

ـ أرجوك ألا تنصرفى ·· أنا أعلم أنى مزعجة ، ولكنك أول شخص أستطيع أن أكلمه منذ عشرة أيام ، فيما عدا الشجار مع جورج طبعا ·· آه ما أغبانى ! ·· انى لم أقدم اليكما شيئا تشربانه ·· ماذا تفضلان ؟

وفاحت منها ، وهى تتحرك ، رائحة عرق ممزوجة بعطر كريب دى شين ··

ـ وهل ليست هناك أنباء عن فردينان ؟

ـ لا ···

ـ كان جورج يتكلم عنه أمس ·· وقال بلهجته القذرة « هأنتذى ترين أى مخلوق تكشف عنه عزيزك « المعتبر » فردينان ! » وهذا لانى كنت دائما اكلم جورج عنه ، وأطالبه أن يتخذ منه قدوة ·ولكنى الآن لا أدرى ماذا أقول بعد أن فعل ما فعل

وتناولت منشفة أخذت تجفف بها خديها وعنقها ·· ونهضت اميلين لتنصرف ، ولكن يت لم تسمح لها بالانصراف الا بعد أن وعدتها بالعودة لتناول الغداء معها ·· وان لم يكن وعدا قاطعا ، فقد قالت :

ـ سأجتهد أن آتى ··

وتنفست الصعداء عندما خرجت من ذلك البيت ، ورأت جماعات الاهالى تتدفق خارجة من المحكمة وفى المقدمة أوربى يرتدى ثيابا بيضاء ، يسير بخطوات سريعة نحو بناء المكتب ·· وأدركاه بمجرد دخوله الى هناك ، وسأل كوستماتس وهو يجلس الى مكتبه ، ويفتح ملفا موضوعا أمامه :

ـ أتريدان مقابلتى ؟

ـ أنا خطيبة فردينان جرو ··

ـ حقا ؟ يسرنى أن أراك ··

www.ibtesamah.com/vb

وهز رأسه هزة يسيرة جدا ، وانتظر بقية الحديث ..

ـ أعتقد أنكم تليقتم من بروكسل تعليمات بصدد المزرعة ..وهو الآن مسافر وقد حضرت لمقابلتك بشأن المزرعة ، وعندى توكيل مفوض منه ..

ومد المأمور يده فتناول الوثيقة التى قدمتها ، وقال :

ـ لاتؤاخذينى .. كان الحر شديدا جدا فى المحكمة ، ورائحة الانفاس خانقة ، ولا أدرى لماذا يشغلوننا بالفصل فى قضايا هؤلاء السود ولا يتركونهم لانفسهم ..

وبعد أن فحص التوكيل ، قال لها :

ـ هذا التوكيل قانونى .. ولكننا سنؤجل العمل الآن الى ما بعد الغداء .. نعم .. نعم .. ان زوجتى سيسرها كثيرا ان تتعرف اليك .. هيا بنا

وأدهشها الحاحه . ولكنها لم تستطع أن ترفض هذه المودة مهما كانت متكلفة ، فوافقت وهى تشعر بشىء من الذنب ، وتنظر بطرف عينها نحو جورج بوديه ، كأنها تستشهد به على أن المسألة خارجة عن ارادتها ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الخامس عشر

كذبة بيضاء

اضيئت المصابيح ، وأغلق باب البيت ، وجلست اميلين فى مواجهة كميل الى المائدة . ومدت يدها الى المنشفة لتبسطها ،ولكن ذكريات ذلك اليوم ظلت تحوم حول ذهنها .. وهى بغير استثناء تقريبا ، ذكريات غير مستحبة ..

وقالت مدام كوستمانس ، عندما جلسوا الى مائدة الغذاء فى دارها :

ـ لقد رأيتك تدخلين بيت يت..والحقيقة انك لايمكن أن تتصورى مقدار ما نشعر به من الألم والحرج بسببها .. فهى تظن أن كونها باريسية المولد يخول لها الحق فى السيطرة واملاء ارادتها .. تظن نفسها شيئا مع أنها من حثالة باريس . وأرجو ألا تؤاخذينى اذا استعملت تعبيرا نابيا فى وصفها .. انها ليست الا عاهرا عادية من عاهرات باريس .. كل احتكاك بها يثير النفوروالاشمئزاز ، وفكرتها عن الكونغو وعن الحياة فى افريقيا فكرة فاجرة ملوثة بأقذر التصورات !

وكانت زوجة المأمور ترتدى ثوبا حريريا سماوى اللون ، والأثاث من طراز تلك السلع الجاهزة التى تزخر بها المخازن الكبرى فى أوربا ، وادوات المائدة من المعدن المذهب ..

ـ ان بوديه ابله لا أمل فيه .. يشرب باستمرار أحقر أنواع الخمور ، وقد يئس زوجى من اصلاحه .. فقرر ألا يتحدث اليه اطلاقا . ولن تنتهى المسألة على خير فيما أعتقد ، بسبب ميوعة هذا الرجل وضعفه أمام زوجته الجامحة . وكان يجب أن يكونوا أكثر من هذا تدقيقا عند اختيار الموظفين الذين يرسلونهم الى الكونغو..

www.ibtesamah.com/vb

يجب ان يختاروا موظفين لهم زوجات محترمات لا أشباه بغايا .. آه لو رأيتها وهى تكاد تلتهم بنظراتها أجساد الرجال السود وهم عرايا تقريبا ، ولا تخجل من نفسها وهى تحاول استدراجهم للحديث .. فلا يفهمون لغتها طبعا وينفرون منها رغم اشاراتها المجوجة ..

وتباحثت اميلين فى مسألة ملكية المزرعة مع المأمور فى حجرة الجلوس تحاشيا للذهاب الى المكتب . وكانت وزارة المستعمرات قد صرحت لفردينان بشراء المزرعة ، مقابل مائتى ألف فرنك بلجيكى . وفى مقابل ذلك يتمتع بجميع المزايا التى تقدمها الحكومة للملاك الزراعيين البلجيكيين .. وهى مزايا مالية وجمركية وحقوق كبيرة على الاهالى فى المنطقة تكاد تشبه السخرة

واكتشف المأمور عند بحث الملف أن الضرائب على المزرعة تبلغ متأخراتها أربعة آلاف فرنك ، حررت بها اميلين شيكا فى الحال ، ووقعت بعد ذلك بمقتضى التوكيل المفوض وثائق الشراء ..

وكانت تحب رغم كل شىء أن تودع يت وهى منصرفة .. ولكنها ما أن اقتربت من درج بيتها ، حتى رأت الباب يغلق بعنف ، فأدركت أن يت كانت ترقبها من الداخل .. وأنها غاضبة لعدم حضورها لتناول الغداء .. وفكرت فى أن تطرق الباب مع هذا كله ، وتوضح لها الظروف التى حالت دون ذلك .. ولكنها عدلت عن تلك الخطة ، لأن أعصابها متعبة ، ولا يمكن أن تتحمل متاعب لقاء عاصف مع تلك المرأة

والتفتت اميلين الى كميل ، وقالت له :

ـ خبرنى يا كميل . ما رأيك فى بوديه ؟

ـ من حيث ؟

ـ أعنى هل تعتقد انه تحت ضغط اضطهاد المأمور وزوجته ، وتحت ضغط حالة « يت » وسلوكها قد يقدم على عمل .. يائس؟

ـ كل ما أعلمه أنه جاء الى الكونغو بحالة نفسية وعصبية متدهورة ، بسبب الافراط فى الشراب . وأما هى فكانت تعتقد أن الحياة فى أفريقيا عبارة عن حلقة متصلة من الانحلال والمجون واللهو .. فكانت تضحك وتتمايل لكل شىء جديد تراه . ولما وجدت نفسها وحيدة منبوذة من عائلة المأمور ، وزوجها منصرف الى الشراب

www.ibtesamah.com/vb

جن جنونها ، وراحت تطلب التسلية بوسائل فاضحة زادت من حرج مركز بوديه

وألقت اميلين نظرة على أرجاء القاعة ، وقارنت بين بيت المأمور وبين هذا البناء المتين الذى اقامه فردينان بنفسه .. فلم يأت تقليدا لأى طراز من البناء فى أوربا ، لأن هندسته نابعة من صميم الظروف والاحتياجات الحقيقية والجو والامطار ..

وتصورت بعين مخيلتها فردينان ، وهو جالس كل ليلة فى مثل هذا الجو مدى ستة أعوام متوالية .. يسود صفحات الورق الخفيف برسائله اليها وألى أمه على صورة تلك اليوميات ، حتى اذا فرغ من ذلك استلقى فى أحد هذه المقاعد الطويلة ، وراح يطالع كتابا فى زراعة البن أو فى الاقتصاد السياسى

ويبدو أن كميل نفسه كان غارقا فى أفكاره الخاصة .. وهكذا جلس الاثنان بعد العشاء صامتين ، حتى أنه نسى أن يشعل الفليون الذى كان قد ملأه بالطباق . وكان الناموس يطن حول المصباح الكهربائى ، وباليجى ترفع الاطباق وبقايا الطعام ، من غير أن ينبد عنها صوت .. وتمشى على أطراف أصابعها كأنها ترقص

وشق صمت القاعة نشيج مفاجىء .. لقد أطلقت اميلين العنان أخيرا لدموعها ، ودفنت وجهها بين يديها على المائدة ، وأخذ كتفاها يرتجفان بشدة . ووقفت باليجى فجأة تحملق فيها مفتوحة العينين ، الى أن أشار اليها كميل أن تعود فورا الى المطبخ ..

ولم تستطع اميلين أن تفسر ما حدث لها .. ففى الصباح مثلا — بل وقبل يومين — عندما كانت فى الطائرة ، فشلت عندما حاولت أن تتصور فردينان سوى صورة مهتزة غامضة . وهى لا تشك أدنى شك فى حبها له .. فهى ان كانت قد غادرت بيتها وأسرتها فى طرفة عين ، فلم يكن ذلك الا لأن مجرد فرض فقدانها اياه ملأها بالجزع . ولذا كانت على أتم استعداد لعمل كل ما يمكن فى سبيل الاحتفاظ به ، ومع هذا كانت المسألة كلها تبدو لها أشبه بحلم مزعج من أحلام اليقظة ..

أما الآن وقد انتهت وجبة العشاء بعد يوم حافل بالتجارب المزعجة ، فقد شعرت فجأة بوجوده فى الحجرة .. بل انها رأته واقفا

www.ibtesamah.com/vb

هناك بجوار المائدة ، ماثلا فى حجمه الطبيعى ! وللمرة الأولى نفذت بصيرتها الى صميم الرجل الذى احبته ، ولمست السريرة المكنونة التى لم تكن تدرى عنها قبل الآن الا لمحة خاطفة !

وانهمرت الدموع على خديها بغزارة .. ولكنها كانت دموعا تحمل اليها التخفيف والترفيه .. دموعا أقل مرارة من تلك الغصة الجافة التى ظلت طوال الأيام الأخيرة تعترض حلقها

وعندما رفعت رأسها ، كان وجهها شـــديد الاحمرار من أثر البكاء .. فذكرذلك كميل بمحياها عندما كانت فتاة صغيرة تقع على الأرض أو تصطدم بشجرة فتبكى .. وسألته وهى تنظر اليـــه بثبات :

ـ هل كان يتكلم عنى ؟

ـ يوميـــا ..

ـ وماذا .. ماذا كان يقول ؟

ـ كان يقول «عندما تأتى أميلين سترسل فى طلب ثلاجة كهربائية»

ـ وماذا أيضا ؟

ـ أو : « قد أبنى لك حجرة ذات حمام فى الحديقة .. فهذا أدعى لشعور اميلين بالحرية فى البيت »

ومسحت أنفها وسألته :

ـ ألم يقل شيئا آخر ؟

ـ لقد طلب فعلا « فونوغرافا » من أحسن صنف ، ومجموعة من الإسطوانات ستصلنا فى الاسبوع القادم ، لا من موسيقى الجاز .. بل موسيقى راقية كلاسيكية وعصرية ، وقد أعد مكانا فى الحائط للبيك أب ..

ـ أين ؟

ـ وراء موضعك مباشرة .. على يمين المدفأة . وكان مشغولا بأمر الطوب العارى من الطلاء ، ويخشى ألا يعجبك

ـ ولكنى أنا أيضا أحب الطوب بغير طلاء ..

ـ وعندما حضر فى المرة السابقة من أجازته ، أخبرنى أنك حصلت على شهادة رسمية فى التمريض .. وفكر فى عمل اصلاحات كثيرة

www.ibtesamah.com/vb

وتحسينات فى المستوصف ، على اعتبار أنك قد تقضين هناك الكثير من وقتك

وثبتت أميلين فيه عينيها ، وسألته :

ـ وعندما كان يتكلم عنى ، ماذا كان يدعونى بالضبط ؟

ودهش كميل وقال :

ـ ألم يكن يقول مطلقا « خطيبتى » ؟

ـ كلا .. لم أسمعه يقول هذه الكلمة مطلقا . ولكنى سمعته مرارا يقول مثلا « عندما تحضر زوجتى .. »

ـ أوه يا كميل !

ولم تستطع أن تمنع نفسها من الاسترسال فى البكاء .. ولكن دموعها فى هذه المرة كانت أقل غزارة .. وقال كميل :

ـ ما رأيك فى أن أتركك بمفردك برهة ؟

فهزت راسها .. والحقيقة أنها كانت تشعر براحة لجلوسها هنا مع كميل ، كما كان فردينان يجلس ليلة فى اثر ليلة يصغى لأصوات الغابة الغامضة فى الخارج تحت جنح الليل ..

ـ ما هذا الحيوان الذى يحدث هذا الصوت الغريب ؟

ـ انه الضبع .. وقد بذل فردينان جهودا كبيرة ليتخلص من الضباع ، ولكنها تعود دائما .. وبمرور الوقت يتعود الانسان صوتها

وانتابتها قشعريرة مفاجئة لبرودة نسبية فى الجو ، وأصغى كميل قليلا ثم قال لها :

ـ أتسمعين ؟ لقد بدأت الأمطار مرة أخرى .. وسيستمر سقوطها شهرين على هذا النحو أو أكثر .. ففى بعض المناطق تستمر الأمطار ستة أشهر كل سنة

ونهضت اميلين وهى كارهة تقريبا لوحشة حجرة النوم التى كانت حجرة نوم فردينان .. وقالت فجأة :

ـ كميل !

ـ نعم !

ـ خبرنى .. هل نامت معه ولو مرة واحدة فى ذلك الفراش ؟

www.ibtesamah.com/vb

وأسرع يكذب بغير تردد قائلا :

ـ ولا مرة واحدة

ـ لا توقظنى غدا صباحا من فضلك ، فانى بحاجة الى فترة راحة طويلة ...

وهذه المرة كانت الدموع فى عينى كميل ، وهو يشد على يدها ويحييها تحية المساء .. وعندما انفرد فى حجرته ليخلع ثيابه ، كان يتمتم محدثا نفسه .. ولم تخطر باليجى تلك الليلة على باله !

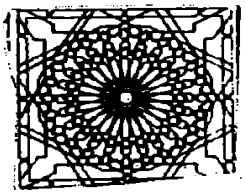

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

www.ibtesamah.com/vb

الفصل السادس عشر

ليس هناك سر

كان « فلبس » يضطر أحيانا الى الانتظار ساعة أو أكثر حتى تبرز اميلين من حجرة نومها .. ولكنه كان يبقى منتظرا من غير أن تبدو عليه أية بادرة من بوادر نفاد الصبر ، بل لعله بالعكس كان يبدى السرور بعزلته ، كأنما يعتبر الدار داره

وكان يصل دائما فى نفس الموعد ، وهو الرابعة تماما ، فى سيارة كروسبى . ففى الايام الممطرة يجدها فى حجرة نومها تحظى ببعض الراحة . واذا كان الجو صحوا فقد يلمحها تتجول بين الاشجار وبرفقتها كميل لتتفقد الأعمال الجديدة . فلا يفكر فى الذهاب اليها بل يبقى فى الشرفة يدخن السجائر

حتى اذا أقبلت اميلين ، وثب واقفا على قدميه وانحنى ليقبل يدها ، ثم يعلن اليها بعبارة واحدة لا تتغير أن مروحة الطائرة لم تصل بعد . فهو كل يوم تقريبا يذهب بالسيارة الى نيانجارا ليستعلم عن أنباء المروحة ، وهل وصلت الى جوبا أو لا .. وفى الوقت نفسه كانت اميلين قد طلبت منه أن يستعلم عن رسائل أو برقيات باسمها فيأتيها بها .. فكانت عبارته التى لا تتغير :

ـ لم تصل بعد . .

والعبارة تعنى فى الواقع معنيين .. تعنى المروحة وتعنى الرسالة أو البرقية

وذات يوم كانت اميلين جالسة تصنع الستائر من قماش كان قد اشتراه فردينان ، عندما وصل « فلبس » من نيانجارا يحمل الأنباء السلبية كالمعتاد . ولما وجدها مشغولة جلس بجوارها كما كان يجلس بجوار الليدى ماكنسون . وأخذ يقدم اليها المقص

www.ibtesamah.com/vb

والخيط والابرة مثلما كان يشـــعل السجائر ويناولها لليـدى ماكنسون ..

لم يحاول ان يغازلها ، وكان فى استطاعتها فى أية لحظة أن تنظرفى أغوار عينيه ، فلا ترى شيئا سوى الصداقة البريئة . وكان يثرثر فى كافة الموضوعات ، ولا سيما شئونه الخاصة بسذاجة أدهشتها. وهكذا عرفت بسرعة كل شىء عن أبيه وعمه ، وهما صاحبا خطوط الملاحة الكبرى ، وعن أطوارهما الغريبة ونزاعهما معهومع منافسيهما فى العمل

ولما أتمت اميلين صنع الستـائر ، صعد السلم وقام بعمليـة التركيب . ودق أصابعه أكثر من مرة . بالمطرقة ، بدلا من أن يدق المسامير . وبعد ذلك جلس ليشاركها هى وكميل العشاء ، فقدكانت هذه هى العادة التى اكتسب حقوقها بعد ثالث يوم من هـــذه الزيارات

وهو يجتهد دائما فى أن يكون ذا نفع ، ويحضر معه هدايا صغيرة ، ولا سيما من الأصناف التى تخصص الانجليز فى صنعها كالبسكويت والبصل الصغير المملح والشيكولاتة وما الى ذلك . وكانت اميلين تبتسم فى سرها لانها تعلم بالبداهة أن جميع هذه الأشياء مجلوبةمن حجرة الخزين فى بيت الميجر كروسبى

وكانت اميلين قد أرسلت جميع الوثائق المطلوبة لاتمام صفقة شراء المزرعة الى بروكسل ، وكتبت الى أبيها تطلب منه أن يودع من بائنتها مائتى ألف فرنك بلجيكى بخزانة وزارة المستعمرات

وكتبت اليه أيضا تقول :

ــ ان البيت مريح جدا ، وأعتقد أن الحياة ستكون مستطابة فيه

وكان كل ما قالته عن فردينان هو :

ــ انه مسافر فى الوقت الحاضر .. وعندما يعود ..

والحقيقة أن الأعمال التى لديها كانت كثيرة لا تكاد تترك لها وقتا لاجترار الآلام ، فهى دائما تروح وتغدو يتبعها كميل كالكلب المخلص من الصباح الى المساء تحت الشمس المحرقة والمطر ، تراقب ماتم من مراحل العمل ، وتدرس فى الكتب التى عنـد فردينان دقائق الآلات الكهربائية المستخدمة فى المزرعة

www.ibtesamah.com/vb

وكميل من جانبه كان يحملق دائما فى «فلبس» كلما حضر .. وكان «فلبس» يتصنع عدم رؤية تلك الحملقة ، ويعامله بلا اكثرات

وذات يوم أقنع «فلبس» اميلين أن تذهب معه لتناول الغداء فى بيت الميجر كروسبى ، ولتشاهد عملية تربية وتدريب الفيلة فى تلك المزرعة المشهورة التى سمعت عنها كثيرا

ولم يكن هناك وجه شبه اطلاقا بين تلك المزرعة ومزرعة فردينان وبيته البسيط اللطيف المتواضع ، فلدى الميجر يشعر الانسان منذ أول وهلة أنه يدخل ثكنة عسكرية من ثكنات المستعمرات .. فهناك فناء داخلى تحيط به حظائر منخفضة على باب كل منها لافتة تعليمات . فهناك مخازن للعليق وللوقود وغير ذلك . وهناك فى النهاية بناء ذو طابقين هو مسكن الميجر كروسبى الخاص

وكان هذا الجندى الانجليزى المتقاعد يصر على استعراض عماله السود كل صباح فى طابور عسكرى ، يؤدون فيه تمرينات على دقات الطبلة وصوت الأبواق !

ولم تتمكن اميلين من مشاهدة الفيلة الا عند عودتها من التدريبات النهارية ، وكان ذلك قبيل الغروب .. وفوق كل فيل منها مدربه الخاص . وأجسامها تقطر الماء ، لأنها قادمة من الاستحمام فى النهر . وبعد دخولها الى حظائرها ، أخذ كل مدرب يجفف فيله ويقوم بتدليكه وتنظيفه حسب القواعد المتبعة فى فرق الخيالة تحت انظار الميجر الفاحصة . والسوط لا يفارق يده كى يلسع به ظهر اى مدرب فى اى وقت !

ومرتين أو ثلاث مرات فى السنة ، يقيم الميجر صيدا للفيلة فى الغابة بمساعدة جيش كامل من الأهالى وبعض الفيلة المدربة . ومتى حصل على فيلة «وحشية» قام بترويضها كما تروض الخيول .. فيعلمها الركوع والنهوض بحسب الأمر ، ثم تستخدم فى أعمال النقل وتعبيد الطرق واقتلاع الأشجار

وقال لها الميجر موضحا :

ـ ومتى تم تدريب الفيل ، أستطيع أن أبيعه بخمسين ألف فرنك ، فجميع الفيلة المستخدمة فى أعمال النقل فى ستانلى فيل مشتراه من مزرعتى . وكذلك أفيال فردينان ، وأقوم بتأجير بعض الفيلة

www.ibtesamah.com/vb

للفلاحين والمزارعين بعشرة آلاف فرنك للفيل الواحد فى السنة لإستخدامها فى الحرث

ومع هذا كله قدرت أميلين فى ذهنها ان المزرعة غير مربحة ، لأن النفقات مرتفعة جدا . وبما أن كروسبى لا يملك موردا خاصا ، فهو فى الغالب يقوم بأعمال سرية لحساب حكومته الانجليزية فى قلب الكونغو البلجيكى ، وفى الوقت نفسه يستمتع بهذا النوع من الحياة

وأدهشها أن الميجر يفرط فى الشراب طول الوقت ، فيحتسى من الويسكى كئوسا لا تكاد تحصى .. ويواظب على ذلك من ساعة اليقظة الى أن يأوى الى فراشه . ومع أنه يعيش بمفرده تماما الا أنه يحافظ على اتزانه وحسن مظهره فى مستوى مرتفع ، وكأنه مقيم فى ناد من الأندية المحترمة بلندن ، حيث تتركز عليه أنظار الجميع

ومع أن الظلام كان حالكا عندما غادرت اميلين مزرعة الميجر كروسبى ، الا أن «فلبس» لم يلح عليها فى اصطحابها الى البيت . وكل ما فعله انه أعطاها بندقية صيد مشحونة بالرصاص ، وضعها بجوارها فى السيارة

وقال لها ، وهو يقبل يدها مودعا :

ــ ربما كانت هناك غدا أنباء عن .. المروحة

وأدركت المغزى المزدوج ، وأضاءت المصابيح القوية ، ومضت فى طريقها ..

ولكن لم تكن هناك أنباء عن المروحة ، ولا عن فردينان فى اليوم التالى . ومع هذا استطاعت اميلين أن تدرك من نظرته ، بعد أن نهض من تقبيل يدها أن هناك شيئا .. بيد انها أحبت أن تجاريه فى تكتمه فلم تسأله ..

واستلقت فى مقعد طويل ، وسكتت الى أن قال فجأة وهو يبتسم :

ــ أتعلمين اننى سأشعر بالوحشة عندما انقطع عن الحضور الى هنا بعد الظهر من كل يوم ؟

مثل تلك الوحشة التى شعر بها عندما لم يعد فى مقدوره أن

www.ibtesamah.com/vb

يشعل السجائر لليدى ماكنسون . ويبدو أن الطيار الشاب يجد من الضرورى لراحة باله أن يعيش دائما فى ظل امرأة شابة ، ولو كان معنى هذا أن يسلك لها الخيط فى الابرة أو يدق المسامير فى الحائط لتركيب الستائر .

ـ لماذا تقول ذلك ؟

ـ لأن المروحة لابد أن تصل فى يوم من الأيام ..

فهل تراه كان يعنى المروحة حقا أو هو يعنى فردينان ؟

ـ لقد جاءنى خطاب من اسطنبول ..

وأخرج الخطاب من جيبه ، وكان الخط على المظروف خطا نسائيا كبير الحروف

ـ انك تقرئين الانجليزية كما أعلم .. ليس هناك سر خاص ، فطالعى الرسالة بنفسك

وبينما هى تقرأ الرسالة ، صب لنفسه كأسا من الويسكى والصودا

« عزيزى جيمى :

« هأنذا قد وصلت كما ترى قبل الموعد المنتظر .. فلم تستغرق الرحلة سوى أربعة أيام . والسبب فى هذا أنى لم أشعر برغبة فى انتظار السفينة فى بور سعيد أو الاسكندرية لأن هذا سيجعلنى أقضى يومين فى البحر .. فأرسلت برقية الى رونالد أسأله هل فى استطاعته أن يعمل ترتيبا خاصا مع الاميرالية .. وبالفعل عمل ذلك الترتيب ، وقامت طائرة بحرية حربية بنقلى من الاسكندرية الى البسفور

« رونالد بصحة جيدة .. وقد انتقلت السفارة بالفعل الى اسطنبول لقضاء الصيف ، وسنستأجر هناك بيتا خاصا كى يقيم الأطفال فيه معنا

« وان كانت لديك أى مشاغل أو قلق بخصوص رحلتى فاعلم انه لا يوجد لها مبرر .. فكل شىء قد تم على ما يرام ، وأنا مسرورة من نفسى للغاية لهذا السبب . وسأخبرك بالقصة كلها عندما نتقابل فى مدينة اكس ليبان فى شهر سبتمبر ، فرونالد ينوى أن يستشفى هناك .. ولدى رغبة فى أن أصحبه

www.ibtesamah.com/vb

« هل هناك أنباء عن المروحة ؟ لقد تحدثت تليفونيا مع لندن ولكنى لم أستطع الحصول على معلومات محددة ..

« أطيب تمنياتى للميجر كروسبى ، ولك أيضا بالطبع يا عزيزى جيمى »

ومنع الخجل اميلين من أن تستوضحه ، ولكنها كانت تتمنى لو عرفت رأيه فى قولها أن الرحلة مرت على ما يرام .. وفى العبارة التى بعدها ..

ثم ما الذى جعل الليدى ماكنسون تطلب استخدام طائرة حربية لعبور البحر الابيض المتوسط بدلا من أن تسلك الطريق المألوف؟..

ثم لماذا هى مسرورة من نفسها ؟ ..

انها كى تفهم ماوراء هذه الكلمات لابد أن تعرف شخصية الليدى ماكنسون ، وهى لم ترها فى حياتها رأى العين ..

وبعد دقيقة من الصمت ، قال « فلبس » :

ـ يجب أن تكون مسرورين من هذه الأخبار

فالتفتت نحوه التفاتة قوية ، وقالت بلهفة لم تكن تحب أن تبديها :

ـ أتعتقد هذا حقا ؟

ـ قطعا .. فكلامها لا يدل الا على أن كل شىء .. أصبح الآن على مايرام تماما . ولولا هذا ...

انه يقصد طبعا أن علاقتها بفردينان انقطعت .. ولكن من يدريها؟ لعل الليدى ماكنسون كانت ترى أسفارها مع جيمى على مايرام .. فى الوقت الذى كانت فيه علاقتها بالشاب أبعد ما تكون عن الأفلاطونية

والواقع أن اميلين كانت تفضل ألا تكون هناك أنباء بالمرة . فهذه العبارات الغامضة المملوءة بالتورية تدفع بها الى التخمين والقلق

وفجأة قال «فلبس» بلهجة من يريد أن يغير الموضوع بأى شكل:

ـ ولدى شىء آخر .. قابلت فى نيانجارا شخصا تعرفينه . فهل يعنيك أن تسمعى الحديث ؟

www.ibtesamah.com/vb

وخطر لها آل بوديه على الفور .. وكانت تتذكر الزوجين المسكينين بين وقت وآخر ثم يشغلها عن التفكير فيهما شاغل العمل ..

ـ أنت تعلمين انى أترك سيارتى دائما عند مكتب الادارة كى أسأل عن البرقيات . ويبدو المأمور دائما مسرورا بقدومى .. فهو يتحدث الانجليزية الى حد لا بأس به . ويحب أن يظهر معلوماته فيها ، ومعه فى المكتب رجل أبيض آخر هو مساعده

ـ أعرفه .. انه جورج بوديه

ـ هل قابلته ؟ أعتقد أن الرجلين ليس بينهما انسجام .. فلم أسمع المأمور يكلم جورج مرة واحدة . وعند انصرافى هذا الصباح رأيت امرأة فرنسية تشير لى كى أقف ..

وبدا على « فلبس » الحرج ، ثم استطرد :

ـ هل رأيتها ؟ انها زوجته وهى امرأة سوقية .. أليس كذلك ؟ وبمجرد وقوفى قفزت داخل السيارة وتعلقت بكتفى ، وقالت « عندى ما أقوله لك . لابد أن تصغى الى » ثم أخذت ترطن بلغة فرنسية دارجة وبسرعة ، فلم أفهم حرفا سوى أنها مذعورة وتتوهم أن خطرا يهددها ، وكانت تشير الى ناحية المكتب . ثم سألتنى عن فردينان وعنك ، وأدركت أخيرا أن المأمور يطالب زوجها بتطليقها واعادتها الى فرنسا بعد فضيحة معينة مع أحد الأهالى . ولكنها تزعم أن الرجل طلب منها الدخول ليقضى حاجة .. وطبعا سخروا من هذا التبرير لأنه ليس من عادة السود أن يقضوا حاجاتهم فى دورات مياه أوربية . ولما أوضحت لها ذلك ، قالت بجنون أن هذا هو التفسير الوحيد الذى خطر ببالها عندما وجدوا الرجل داخل البيت . وقد قتلوا الرجل طبعا ، ولكنها تصر على براءتها ، وتؤكد أن الرجل كان يقضى حاجة .. والحقيقة أن منظرها كان أشبه بنزيلات مستشفى المجاذيب . ولكنها أخذت منى وعدا أن أبلغك استغاثتها ، وأن حياتها فى خطر وأنك الفرنسية الوحيدة التى تعرفها هنا . وفجأة ظهر زوجها ولم يقل شيئا .. حدق فيها بغضب واشمئزاز . فنزلت على الفور وعادت الى البيت ، وانصرف هو ـ من غير أن يكلمنى ـ الى مكتبه

www.ibtesamah.com/vb

فتنهدت اميلين وقالت بجد :

ـ يستحسن أن أذهب الى هناك غدا

ـ أتظنين هذا ضروريا ؟ أتعتقدين انها حقا فى خطر ؟

ـ أنا لا أستبعد هذا ..

ـ اذن نلتقى غدا فى نيانجارا ..

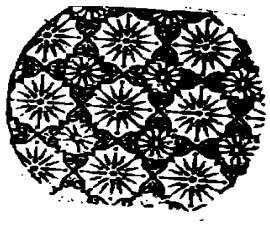

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

www.ibtesamah.com/vb

الفصل السابع عشر

رافقتك السلامة

وبمجرد أن اختفى « فلبس » عن نظرها ، صاحت :

ـ كميل !

فأسرع بالحضور من المطبخ ، وقد أقلقته نبرة صوتها ، ووجدها تذرع البهوجيئة وذهابا ، وتعصر المنديل بين أصابعها . . وقالت له:

ـ انى منزعجة جدا . . فقد خطرت لى الان فكرة لم تخطر لى من قبل . . ما رأيك يا كميل ؟

ـ فى ماذا ؟

ـ أتعتقد أن فردينان من النوع الذى يمكن أن يقتل نفسه فى لحظة يأس ؟

ـ ولكن لماذا بالله تفكرين فى هذا ؟

ـ لقد بلغنى الآن أن الليدى ماكنسون فى إسطنبول . وقد أرسلت الى« فلبس» خطابا تقول فيه أن الرحلة مرت على ما يرام، وأنها مسرورة من سلوكها . . فماذا تفهم من ذلك ؟

وقطب كميل حاجبيه ، ولم يقل شيئا . .

ـ خبرنى كيف بدت لك حالة فردينان فى اليومين السابقين على سفره المفاجىء . هل كان فى حالة انفعالية عنيفة ؟ يالى من غبية ! لابد أنه كان فى حالة غير معقولة من الانفعال ، والا لما أقدم على تلك الخطوة . وقلقى عليه من قبيل التخمين طبعا ، لانه لم يكتب الى أحد . ولو أن والدته عرفت شيئا لابرقت بما عرفته فى الحال الى هنا

وكان قد مر يومان من غير نبأ عن فردينان ، أو رسالة منه الى أسرته أو الى اميلين . والليدى ماكنسون لم تذكر أين تركته

www.ibtesamah.com/vb

بالضبط آخر مرة . ولكن ذلك في الغالب كان في الاسكندرية ، لانه لا يمكن طبعا أن يستقل طائرة بحرية حربية معها

ولكن لنفرض أنه اقتفى أثرها بطريق البحر ، وأن الليدى كتبت رسالتها الى « فلبس » قبل وصول السفينة الى اسطنبول ؟

ـ اتركني الآن من فضلك يا كميل ..

ـ أتسمحين لي أن أقول لك شيئا قبل ذلك ؟ لقد فكرت في كلامك ، وأعتقد أن فردينان لا يمكن أن يقدم على ما أشرت اليه ..

ونظرت الى عينيه مليا ، فأدركت أنه ليس موقنا تماما مما يقول

وفي الصباح استقلت سيارتها الى نيانجارا ، وذهبت فورا لزيارة يت فوجدتها في حالة عصبية عجيبة ..

ـ لقد أصبح يكرهني كما يكره السمر .. أصبح يتجنبني ولا يقترب مني ، ونحن رسميا في شهور العسل ! وكان يجب أن أفطن الى هذا منذ البداية ، ونحن في شارلروا .. ولكني كنت مغفلة !

ولاحظت أميلين أن «يت» حافية القدمين ، وان قدميها قذرتان .. وكذلك كان كل شيء في الدار قذرا

ـ أتصدقين أنني نمت بالامس وتحت وسادتي سكين ! وأناواثقة أن تحت وسادة جورج مسدس .. وهذا ما وصلنا اليه بعد أسابيع من الزواج

ولم تكن اميلين بحاجة الى استدراجها للكلام أو تشجيعها عليه، فهي من النوع الثرثار ، حتى أن اميلين اعتقدت أنها تكلم نفسها حين تكون وحدها في البيت ..

ـ أنا لا أدري كيف رتبتما أموركما أنت وفردينان . ولكنيواثقة أن الحال بينكما تختلف عن ظروف خطبتي أنا وجورج .. فقد ذهبت الى شارلروا لتمضية الاجازة مع جدتي ، فأمي بلجيكية كما تعلمين .. وهناك قابلت جورج ، وكان في أجازة مدتها ستة أشهر ووالداه يقيمان على مسافة عشرين مترا من بيت جدتي . ووالده رئيس عمال في شركة من شركات التعدين ، فليس له الحق اذن في أن يشمخ بأنفه .. أليس كذلك ؟

www.ibtesamah.com/vb

وكانت اميلين تنظر بين الحين والحين من خلال النافذة الى جهة المكاتب لانها تعلم أن « فلبس » يمكن أن يحضر فى أية لحظة فى سيارة الميجر كروسبى

ـ وذهبنا الى السينما معا عدة مرات ·· وكنت فتاة طيبة مستقيمة عندئذ ، ولا يمكن لجورج أن ينكر هذا . واذا أراد أن ينكر لذكرته بتفاصيل معينة لا تشرفه · وكان هو الذى لعب بعقلى ، واستطاع أن يستدرجنى بعد ظهر أحد الايام ·· فبدلا من الذهاب معه الى السينما كما قلت لجدتى ، ذهبت معه الى فندق ··· وأنت بغير شك تعرفين البقية · وجلست على فراش الفندق أبكى وأطالبه بأن يتزوجنى ··· ألم يكن من حقى أن أصمم على ذلك ؟

وقبل فى أول الامر الى أن غادرنا الفندق ، وبعد ذلك حاول أن يتراجع ويتملص ، وظل يقول لى أن الجو هنا لا يناسب امرأة بيضاء فهددته بأن أخبر أهلى بكل شىء ، وبعد عودتى الى باريس ظللت أكتب له ثلاث مرات فى الاسبوع ، وهو يحاول دائما أن يتملص ·· الى أن أجبرته جدتى على الزواج · وماذا تظنين أنه يقول لى الآن ؟ انه يتهمنى بافساد حياته والقضاء على مستقبله وتلويث سمعته · ويهددنى بالانتحار ليتخلص منى ·· لا تنظرى الى البيت الان ، فأنا أعلم أنه قذر لانى لا أجد قابلية لتنظيفه · ولا أستطيع أن أستدعى خادما من الاهالى لتنظيفه ، والا غضب السيد واتهمنى بالخيانة والفجور · وأنا واثقة أن المأمور وزوجته اللعينة يضعان فى رأسه هذه الافكار ·· وكأنه يعتقد أن تجنبه للاقتراب منى يمكن أن يزيد من حصانتى ضد الرجال ·· هذا المغفل المجنون ! وبالامس لم يوجه لى كلمة واحدة ، ولكنى رأيته ينظف مسدسه ويضع فيه ست رصاصات ، والان أشيرى على ماذا أفعل فأنا غير مطمئنة على حياتى

وفى هذه اللحظة وصل « فلبس » وتحركت اميلين تريد القيام ، فتشبثت « يت » بذراعها وهى تقول :

ـ لا تتركينى هكذا ! قدمى لى نصيحة تنفعنى ! ان والدك محام ·· أليس كذلك ؟ ماذا عساك كنت تفعلين لو أنك كنت فى مكانى ؟ هل لجورج الحق فى تطليقى ؟ هل من حق جورج حقا أن يطلقنى ؟

فقالت لها اميلين ، وهى تتلهف على الانصراف :

www.ibtesamah.com/vb

ـ سأفكر فى المسألة ، وأخبرك فى مدى يوم أو يومين ·· ولكنى أوصيك فى هذه الاثناء ألا تتركى القلق يستولى عليك

ـ لا أترك القلق يستولى على ؟ هذا كلام من السهل ارساله ولكن ليس من السهل تنفيذه ·· اننى تحت رحمتهم ، عليهم اللعنـــة ! ويبدو أن من حق المأمور أن يبعد عن الكونغو أية امرأة بيضاء بحجة أنها تسىء لسمعة الاوربيين واعتبارهم

ولحسن الحظ أن « فلبس » فى هذه اللحظة خرج من المكتب لانه لم يجدها هناك واتجه نحو الدار ، فأسرعت اميلين للقائه ، ووقفت « يت » تصيح من عتبة الباب :

ـ أهذا كل ما تريدين أن تقوليه لى ؟ أنا أعـلم الحقيقة كلهـــا ، وأعرف أنك تغديت عند هذه المراة واســتطاعت أن تستولى على أفكارك !

ويبدو أن منظر « فلبس » وهو ينحنى على يد اميلين ليقبلهـــا باحترام ، قد زاد فى اثارة « يت » · فدخلت وصفقت الباب بشدة

وسألت اميلين « فلبس » :

ـ أما من برقية ؟

ـ نعم ·· من لندن · وسيشحنون المروحة يوم السبت القادم ، فتصل بعد ذلك بأسبوع ، وقد أرسلت برقية الى ســتانلى فيل كى يبعثوا بميكانيكى ينظف آلة الطيارة ويختبرها · وعلى هذا الاساس لن يطول بك تحمل وجودى

وراجعت التواريخ فى ذهنها بسرعة ، وعرفت أنه لن يتمكن من الرحيل قبل عشرة أيام · ولا بد أن أنباء عن فرديناند ، ستكون قد وصلت بطريقة أو بأخرى فى خلال تلك المدة .

وكانت طريقة كميل فى تتبع خطواتهـــا كالكلب الامين ، وهى تتفقد أعمال المزرعة ، تثقل على أعصابها أحيانا ··· فهو بلطفـــه المتعمد يذكرها دائما بمرافق أجير لشخص مريض أو كبير السن !

وبعد ثلاثة أيام حضر الميكانيكى ، وصار لدى « فلبس » عذر معقول لقضاء كل وقته فى الدار أو بقربها ·· فهو يعاون الميكانيكى ويرشده ويراقبه

www.ibtesamah.com/vb

ووجد « فلبس » عناء فى اخفاء فرحه البالغ لقرب عودته للتحليق فى الجو ·· فحب الطيران متغلغل في دمه ، بحيث طغى على استمتاعه بالاقامة فى صحبة اميلين . وصار يحدثها باستمرار عن وصوله محلقا عبر المحيط الهندي الى مطار ولينجتون بنيوزيلندة ، وكيف يتخيل سحنة والده وعمه عندئذ

وفى الاسبوع التالى ، جاء خطاب من الليدى ماكنسون ، تخبر فيه « فلبس » أنها استقرت فى قصر فخم قديم ، كان فيما مضى مقرا للوزير الاكبر ·· وأرسلت مع الخطاب صورة فوتوغرافية لطفليها وهما يلعبان فى سلاملك الحريم ··

وهذا كله كان مصدر توتر لاميلين ، ولكنها واجهت الموقف بصلابة وتجلد · وكانت تصغى لثرثرة « فلبس » عن استنبول والبسفور ونيوزيلنده وأسرته وهى مفترة الثغر بابتسامة رقيقة ··

وجاءتها رسالة من ابيها يخبرها فيها أنه ينوى التوجه الى فيتل هذا العام فى وقت مبكر عن المعتاد ، كى يتسنى له الاشتراك فى الرحلة الجماعية التى تنظم فى أغسطس من كل سنة الى المنطقة الجبلية · وهى رحلة كان يتوق منذ أعوام الى الاشتراك فيها ، وأعرب لها عن أمله فى أن يكون كل شىء على ما يرام فى المزرعة ، وان يتم عقد الزواج فى وقت قريب · وحذر ابنته من الاصابة بالملاريا ، وأعاد على مسامعها قصة خال له قاسى من هذه الحمى مقاساة عنيفة بعد عودته الى أوربا بمدة طويلة

وأرسلت مدام جرو والدة فردينان خطابا قالت فيه :

ـ لم أخبر أحدا عندنا ، كما لم أخبر أباك بشىء عن مخاوفك · ويخامرنى الاعتقاد أحيانا بانه كان من المستحسن أن تقتفى أثره وتبحثى عنه ، وأنا على كل حال مهتمة بقراءة جميع الانباء الخارجية فى الصحف اليومية بامعان

انها طبعا تقرأ الانباء الخارجية لتعرف هل أقدم رجل فرنسى على الانتحار فى تركيا ··

وشعرت اميلين أن الفراغ أطبق عليها من كل جانب ·· فها هى ذى آلة الطائرة تدور باستمرار طيلة الامسيتين الماضيين استعدادا للرحيل عند وصول المروحة ، وهاهو ذا كروسبى يتأهب لرحلته

www.ibtesamah.com/vb

السنوية الى لندن .. وذات صباح حضر مكاسس الى الدار ، وطلب كوبا من الماء .. ولما كانت اميلين موجودة فى المستوصف فى ذلك الوقت ، فقد اكتفى مكاسس بترك رسالة لها مع كميل ، بأنه راحل الى واطسا حيث مناجم الذهب التى يملك جزءا منها . وسيمر بها فى طريق العودة ، بعد ثلاثة أسابيع أو أربعة

«وفلبس» يذهب الآن الى نيانجارا مرة كل يومين ، ويعود دائما ليقول أن لا جديد فى نيانجارا .. وهو لا يقابل « يت » ، ولكن زوجها موجود باستمرار فى مكتبه ، وان كانت حالته تبدو أسوأ من ذى قبل

انقضت حتى الآن ثلاثة أسابيع على سفر فرديناند ، وانقضى أكثر من أسبوعين على عودة ليدى ماكنسون الى أسرتها ..

وقضى « فلبس » ليلته الاخيرة قبل الطيران فى الدار .. شارك الميجر كروسبى فى غرفة نوم كميل ، لانه كان يريد الرحيل فى الفجر ليصل بقدر الامكان الى دار السلام بعد الظهر ..

وكان فرحه فى تلك الليلة لا يتصوره العقل . وقد فطن الى ذلك فى لحظة من اللحظات ، فقال معتذرا :

ـ سأرسل اليك برقية عند وصولى ..

وما أن نطق بهذه العبارة حتى تبين عثرته ، فأسرع يقول مستدركا :

ـ ولكنى أعتقد أن برقيتى لن يعنيك أمرها كثيرا ، لانك لابد عندئذ أن تكونى قد تسلمت برقية من مصدر اخر

وعند الفجر نهض الجميع وتناولوا افطارا سريعا .. واختبر الرجلان اتجاه الريح بالرايات ، ثم أدار الميكانيكى الآلة . وقبل « فلبس » يد اميلين كالمعتاد .. وفى اخر لحظة ، وبعد تردد قصير ، جذبها اليه على استحياء ، وقبل وجنتيها ، وقال بصوت هامس :

ـ أتمنى لك حظا سعيدا أنت به جديرة !

وصاح الميجر كروسبي وهو يقف وقفة انتباه ، ويؤدى التحية العسكرية :

ـ رافقتك السلامة ..

ومن أعجب الامور أنه بعد أن حومت الطائرة فوق الدار ، وحلقت

www.ibtesamah.com/vb

فى الجو مختفية عن الانظار ، كان كميل ـ وكميل وحده ـ هو الذى جفف عينيه خلسة

وقال الميجر كروسبى لاميلين :

ـ سآخذ الميكانيكى معى ٠٠ واذا رأيت اننى أستطيع تقديم أية خدمة لك لا تترددى فى القدوم الى ٠٠ فسوف لا أسافر قبل ثلاثة أسابيع٠

ووجدت أنها بمفردها فى عزلة ٠٠ وقررت أن تهونها على نفسها بالذهاب مرة كل يومين الى نيانجارا استطلاعا للانباء

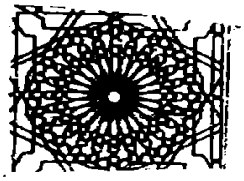

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثامن عشر

مسألة شكلية

وفى احدى رحلاتها الى نيانجارا ، التقت فى الطريق بعداء خاص، يحمل برقية باسمها فطار قلبها فرحا .. ولما لم تجد معها نقودا صغيرة ، أعطته ورقة من ذات المائة فرنك بلجيكى هدية له ..

ولكن الحظ فى هذه المرة ، كان قد سخر منها .. فعندما فضت البرقية وجدتها من والدها .. ونصها :

ـ قمت بالدفع والوثائق مرسلة بالبريد

فالرجل الطيب خطر له أن يخبرها تلغرافيا بانتهاء اجراءات الشراء

وبعد يومين آخرين، ذهبت الى نيانجارا أيضا لتجد مكاتب الادارة مقفلة .. ومبلغ علمها انه ليس عطلة رسمية ، فالتفتت نحو بيت المأمور . وهناك رأت العلم البلجيكى مرفوعا فى منتصف السارية علامة على الحداد ، فانقبض قلبها .. وعبثا حاولت أن تقنع نفسها بأنه ربما كان أحد أفراد الاسرة المالكة البلجيكية قد مات فى بلجيكا ذلك اليوم . ونزلت من السيارة فورا ، وأسرعت حتى كأنها تجرى الى بيت المأمور ..

وفى البداية لم يجب على طرقاتها أحد ، وأخيرا ظهر غلام أسود لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الفرنسية . وحاولت أن تفهمه مرادها باشارات من يديها ، ولكنها عجزت عن تفهيمه .. وبعد بضع لحظات انصرف عنها ، ثم عاد وهو يهز رأسه . وسمعت صوتا أشبه بالانين ينبعث من حجرة النوم ، تختلط به صرخات طفل حديث الولادة ..

ـ اذهبى الى بيت آل بوديه ..

ولم تجد أحدا فى شرفة آل بوديه ، فصعدت الدرج من غير أن

www.ibtesamah.com/vb

ترفع صوتها بالنداء على أحد . ولما وصلت الى الباب ، رأت المأمور جالسا فى البهو يتحدث الى قسيس الارسالية الابيض .. وهو رجل عجوز يجوب قرى المنطقة على سيارة بخارية ...

ونهض كوستمانس عندما رآها ، وتقدم نحو الباب . وكان وجهه ممتقعا ، ولكنه هادىء متمالك لاعصابه .. ولاحظت أن الدوائر السوداء التى تحيط بعينيه قد ازدادت عن ذى قبل ..

وقال لها بصوت هادىء :

ـ تفضلى بالدخول ..

ـ وأردف بعد ذلك يقول :

ـ انى مسرور لحضورك .. ولا سيما لاننا سوف نحتاج لشهادتك

ووقف القسيس ذو اللحية الطويلة الحمراء ، وانحنى لها من غير أن يمد يده اليها ..

ولما جلست ، قال لها كوستمانس :

ـ هل جئت لانك سمعت بما حدث ؟

ـ أنا لم أسمع شيئا على الاطلاق .. كل ما هناك أنى ذهبت الان الى بيتك ، فقالت لى زوجتك أن آتى الى هنا ..

فصاح كوستمانس :

ـ اذن أنت ايقظتها من نومها ! ان المسكينة لم يغمض لها جفن طيلة الليل بالامس ..

وفغرت اميلين فاها فجأة .. ولكن شيئا ما فى أعماقها دعاها الى كتم الصرخة التى صعدت الى شفتيها ... فقد لمحت فوق مائدة موضوعة فى أحد الاركان جثة مغطاة بملاءة بيضاء ...

وبصعوبة شديدة ، استطاعت أن تسأله :

ـ من ؟

ـ انه جورج بوديه .. اهدئى من فضلك .. هل أستطيع أن اقدم اليك شرابا ؟ للأسف لا توجد هنا حجرة أخرى تجلسين فيها ..

وسألته وهى مبهوتة :

ـ و «يت» ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ الاب جوليان يقول أنها ربما نجت ٠٠ ولا حاجة بى أن أخبرك أن الطبيب متغيب كالمعتاد فى جولاته الريفية

وجلس كوستمانس الى مائدة أخرى ، عليها قلم وحبر وبعض الاوراق . ولا شك فى انه كان يكتب شيئا عندما حضرت اميلين

ـ لقد حدثت هذه الفاجعة صباح أمس ٠٠ ولعل الاصح أن نقول أننا سمعنا بها صباح أمس ٠ ولو أنى استطعت أن أتصل بك حينئذ لفعلت ، لان شهادتك ستكون لها قيمة كبيرة . ولكنى كنت متأكدا أنك ستحضرين من تلقاء نفسك اليوم

وأخرج الاب جوليان غليونا ضخما مما يستخدمه الاهالى، وراح يدخن بشراهة . واستطرد المأمور البلجيكى يقول :

ـ لاحظت أمس صباحا أن بوديه لم يحضر الى المكتب فى الساعة السادسة كما هو المفروض ٠٠ وبعد نصف ساعة ، أرسلت اليه من يستدعيه من بيته . ولعل الافضل الآن أن أتلو عليك التقرير الذى حررته :

« كانت جثة المرحوم جورج بوديه ملقاة على الارض أمام فراشه ٠ وعلى قرب من يده اليمنى مسدس من عيار ٦٫٣٥ من صنع شركة هرْيستال للاسلحة الصغيرة وكانت هنريت بوديه زوجته ملقاة فى الفراش ، وفى خدها الايسر جرح من رصاصة . وكان يبدو عليها أنها فى النزع الاخير ٠٠

« ولم يكن فى البيت أحد من الخدم ٠٠ وبحثنا عن الجندى المراسلة الخاص بجورج بوديه على اعتبار أن الشبهة الطبيعية تحوم حوله ٠ وقد عثر عليه رجالنا أمس مساء مختبئا فى الغابة ٠ وليس هناك ما يدعو لعدم تصديق أقواله التى تنحصر فى أن فزعه من المنظر قد دفعه الى الهرب »

وكف كوستمانس عن القراءة ، ورفع اليها وجهه قائلا :

ـ لقد أبرقت الى ستانلى فيل على الفور لاننى فضلت ألا أستقل بمسئولية التحقيق ، مع أننى حائز لجميع السلطات القضائية ٠ فهناك ظروف خاصة فى هذه القضية ، وأنت تدركين طبعا ما أرمى اليه ٠٠٠ فآثرت تجنب كل لبس وطلبت من الاب جوليان أن يكون حاضرا طوال مدة التحقيق وما يتبعه من اجراءات

www.ibtesamah.com/vb

ولم تجد اميلين فى نفسها الشجاعة على النظر نحو المائدة التى وضعت فوقها الجثة . وسألت كوستمانس :

ـ هل « يت » موجودة فى حجرتها الآن ؟

ـ نعم .. وتستطيعين أن تذهبى اليها ، فالرصاصة خرجت من قفاها . وبجهود الاب جوليان استردت وعيها أمس مساء

ـ ألم تقل شيئا عندئذ ؟

وتصنع المأمور الصمم .. واستطرد يروى الحوادث :

ـ ان زوجتى تعتقد انها سمعت ثلاث طلقات فى سكون الليل . ولكنها لم توقد النور ، ولذلك لاتستطيع أن تحدد الوقت بالضبط.. واعتقدت أن أحد الحراس يطلق النار على حيوان مفترس ، وهذا مايحدث فى كثير من الليالى ، ولكنى لم أستطع العثور على الرصاصة الثالثة ، ولعل يد بوديه ارتجفت بعد أن أطلق النار على زوجته ففشل فى اصابة نفسه من أول مرة . وخرجت الرصاصة الطائشة من الشرفة . ولكننا وجدنا فعلا ثلاث خرطوشات فارغة ، وضعناها فى هذا الحرز

وأشار بيده الى طرد صغير مختوم بالشمع الاحمر .. ثم استطرد بصوته الخالى من كل تعبير :

ـ ولدى من الاسباب مايدعونى للاعتقاد بأن آل بوديه كانا يفضيان اليك بأسرارهما الى حد ما .. ولهذا أطلب منك أن تدلى بأقوالك التى سأسجلها كتابة ، واطلب منك التوقيع عليها ..

ولما صمتت اميلين ، قال :

ـ لعله يكون من الاسهل عليك أن أقوم بتوجيه الاسئلة

واستمر الاب جوليان ، ينفث الدخان من غليونه الكبير ..

ـ سأبدأ بتوجيه السؤال المألوف : هل لاحظت أن هناك ما يدل على عدم التوافق بين الزوجين جورج وهنريت بوديه ؟

ـ نعم ..

ـ هل أخبرتك هنريت بوديه أن زوجها هددها بالقتل ؟

ـ نعم ..

ـ هل تعرفين السبب فى حالة الخصام الذى نشأ بينهما ؟ وأرجو

www.ibtesamah.com/vb

أن تلاحظى أن وفاة بوديه سيترتب عليها عدم اجراء محاكمة جنائية، وسيكتفى بتحرير هذا التقرير الذى نكتبه استيفاء للشكل

ـ أخشى ألا تجد عندى جوابا شافيا عن سبب الخصومة بينهما.. فكل ما أعلمه أن هناك نفورا شديدا وصل الى أقصى مداه . والآن هل أستطيع الذهاب الى « يت » ؟

ونهض الاب جوليان ، وسبقها الى الحجرة الاخرى على اطراف أصابعه ، بعد أن وضع غليونه الكبير بعناية فوق منضدة صغيرة . وأطل من الباب ثم أشار بيده الى اميلين ..

وكل ما استطاعت أن تراه عند دخولها ، عبارة عن عينين لونهما رمادى باهت فيه شذور ذهبية ، ونظرتهما شاخصة مروعة .. حتى أنها اضطرت أن تشيح عنها . وكان سائر وجه « يت » مختفيا خلف وسادات بيضاء ، وحاولت أن تتكلم ولكنها لم تستطع. ولم تتمالك اميلين دموعها ، وأخفت وجهها بين يديها

وقال لها الاب جوليان ، وهو يربت على كتفها :

ـ حاولى أن تهدئى روعك يا ابنتى ، فمن مصـــلحتها ألا يتهيج شعورها بأى شكل من الاشكال وهى فى حالتها هذه ..

فغادرت الحجرة من غير أن تتمكن من قول كلمة واحدة للمريضة المسكينة . وقال لها الاب جوليان ، وهو يغلق الباب بعد خروجهما :

ـ لقد كانت بهذه الحالة منذ أمس مساء ، ولم يطرأ عليهـــا أى تغيير ، فهى لاتريد أو لعلها لاتستطيع الكلام . وربما كانت الصدمة قد حرمتها من القدرة على الكلام . وعلى كل حال سيكون الطبيب هنا غدا ونحظى منه بالتشخيص الكامل للحالة ..

وكان لدى كوستمانس شىء آخر يريد أن يقوله لاميلين ..فانبرى يتكلم بمزيد من الجفاف المعهود فيه .. وهو يزن كل كلمة يلقى بها:

ـ انى أتوقع أن يتحدث الناس عن العلاقات المتوترة التى كانت سائدة بينى وبين بوديه . واحقاقا للحق أقول أننى او لم أرجىء اتخاذ الاجراءات التأديبية ضده جزاء وفاقا لسلوكه المتراخى واهماله فى العمل والنظام ، لما حدثت هذه الكارثة هنا . وهكذا جنت شفقتى على ، فهذه المأساة كانت صدمة كبيرة لزوجتى ، وهى حديثة عهـــد

www.ibtesamah.com/vb

بالوضع ، وربما ترتبت عليها آثار خطيرة بالنسبة لها ولطفلها ..

وانتهزت اميلين أول فرصة للانصراف ، ولم تكن هناك برقيات بطبيعة الحال ، وسلكت طريقها المألوف وهى تشعر بتعب بدنى شديد وبهبوط عام فى حالتها المعنوية .. وزاد احساسها بالسأم واليأس

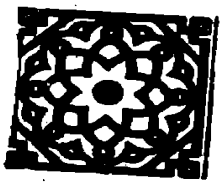

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

www.ibtesamah.com/vb

الفصل التاسع عشر

اللحظة الحرجة

قادت اميلين السيارة ببطء ، وهى عائدة من مسرح مأساة آل بوديه .. وفجأة سمعت فرقعة ، ثم مرت بها سيارة مكاسس العجيبة الشكل ذاهبة فى الاتجاه المضاد . وأطل الرجل من النافذة وهو منطلق ولوح لها بيده .. وألقى اليها بسؤال لم تستطع أن تتبينه بسبب ضجة سيارته ، ولكن الكلمة الاخيرة من السؤال رنت فى أذنها على هذا النحو :

ـ مسرورة !؟

ثم ابتعد ، فهزت كتفيها .. وماذا عسى أن يدعوها الى السرور. بل ان انقباض نفسها جعلها تنظر فى وجوم الى معيشتها فى المزرعة والبيت وحدها لمدة غير معلومة .. ومع ذلك كانت فكرة العودة الى بيت والدها فى مولان تبدو لها غير محتملة

وفكرت فى مصائر البشر ، وكيف أن بعض الناس يمرون بالحياة من غير أن يلتقوا بمآسيها وجها لوجه ، مهما طال عمرهم ! . فهذا أبوها مثلا ، وقد ظل فى صميمه طفلا رغم سنه .. أتراه كفئا للشعور بأية عاطفة ناضجة عميقة حقا ؟

ثم عادت بها خواطرها الى أمها التى ماتت وهى فى التاسعة من عمرها .. ثم عادت خواطرها الى أبيها مرة أخرى ، وتصورت فرحه الصبيانى وهو يستعد لتلك الرحلة التى طالما حلم بها الى المنطقة الجبلية ..

وحتى عندما اخبرته انها مسافرة فورا الى افريقيا ، لم يقل كلمة واحدة .. فهو غير مستعد للتحكم فى أحد

وأخذت تترقب ، فى الطريق ، المعالم التى تعرفها وتحدد بها

www.ibtesamah.com/vb

مراحل رحلتها لانها قدرت أن البيت صار قريبا ..

ولما وصلت أخيرا الى سفح التل على الضفة ، أدخلت السيارة كعادتها الى الجراج وأقفلت بابه .. ثم راحت تتطلع فى ضوء الغروب الباهت بحثا عن كميل ، فرأته مشغولا بالعمل عند سفح احد التلال ، ومن حوله مجموعة من الاهالى ومعهم فيل

وشعرت اميلين بالتعب الشديد يتسرب الى جميع أطرافها ، فخلعت عن رأسها الخوذة البيضاء ، وألقت بها على المائدة ، ثم استلقت فى مقعد طويل .. وفى نيتها أن تستريح نصف ساعة فى لحظات الغروب التى تتجمع فيها الظلال

وفجأة تثبتت عيناها على شىء أمامها مباشرة ، فاستوت جالسة دفعة واحدة !

وكان هذا الشىء العجيب الذى تنبهت لوجوده أول مرة هو قبعة فردينان .. واتسعت حدقتاها ، ونهضت واقفة على قدميها وهى تظن أن عينها خدعتها ، أو لعلها قبعة أخرى من قبعات فردينان أخرجتها باليجى من الدولاب وهى تنظفه ووضعتها هناك

وفى هذه اللحظة بالذات سمعت صوتا بالخارج ، ثم انفتح الباب .. ورأت فردينان مقبلا نحوها :

ـ هالو يا اميلين !

وأدركت على الفور أن أعصابه متوترة بصورة عنيفة مع أنه لا يظهر ذلك ، ولكن حواسها كانت مرهفة جدا بحيث تدرك باطنه إدراكا غامضا . واستطاعت أن تتصور مدى الجهد الذى يتجشمه كى يتكلم بهذا الصوت الهادىء وأن يقترب منها على هذا النحو بخطوات متزنة .. ولم تدر كيف استطاعت أن تجد القدرة على الرد بهدوء

ـ طاب مساؤك يافردينان

وبعد ذلك حدث شىء غريب حقا .. قبل كل منهما الآخر على مألوف عادتهما تقريبا ، وبنفس الطريقة الطبيعية الهادئة ، رغم البركان العنيف من الانفعالات الثائرة فى صدريهما

وفكرت اميلين بينها وبين نفسها قائلة :

ـ ان كل شىء يتوقف الان على هذه اللحظة .. وعلى الكلمات

www.ibtesamah.com/vb

الاولى التى نتبادلها ، وعلى النظرات الاولى التى تلتقى فيها عيوننا وبسبب الحالة العصبية المتوترة لدى كل منهما ، لم يجسرا على أن يواجه أحدهما الآخر .. وراحا ينظران الى ما حولهما من الاشياء

ولم يكن صدفة عارضة أن يتأخر كميل فى العمل بالمزرعة ، ولكن المفروض أنه فى طريقه الآن الى البيت .. ومن المنتظر أن يدخل عليهما فى مدى خمس دقائق

وسألها فردينان ، وهو ينظر الى بعيد :

ـ هل تجاوزت « يت » مرحلة الخطر ؟

ـ ماذا ؟ .. هل عرفت ؟ .. هل ذهبت الى نيانجارا ؟

ـ كلا ..

ـ كيف عرفت اذن ؟ ..

ـ الاهالى أخبرونى بما حدث ..

وكان قد غاب عن ذهنها تلغراف الغابة ، وهو دقات طبول التوم توم التى تحمل الانباء فى طول الاقاليم وعرضه بأسرع مما تحمله اشارة مورس التى يستخدمها الرجل الابيض فى التلغراف !

وصاحت فجأة :

ـ فهمت الآن !

ـ ماذا ؟ ..

ـ أوه .. لا شىء

وكان ما فهمته فى الواقع هو سؤال مكاسس لها وهو منطلق ، ذلك السؤال الذى لم تتبين منه سوى كلمة « مسرورة » ؟ فقد ظن الرجل أنها على علم بالنبأ العظيم .. نبأ عودة فردينان الى البيت ، فلاشك أن دقات التوم توم كانت تذيعه منذ ساعات

وابتسمت ابتسامة باهتة ، كأنها تعتذر عن تعبها الشديد ، والقت بنفسها فوق المقعد الطويل ..

ـ أتشعرين باعياء ؟

ـ هذا شىء لا أهمية له ... الآن ! ولكنك طبعا لست ... ؟

وسكتت ، ثم بعد لحظة تردد نطقت أخيرا قائلة على استحياء :

www.ibtesamah.com/vb

ـ انك طبعا لست مستاء منى ؟

ولم تكن تدرى بالضبط لماذا يمكن أن يكون مستاء منها .. ربما لانها حضرت هكذا من غير انذار سابق .. ولكنه تظاهر بأنه لم يسمع سؤالها وقال :

ـ أصيبت الطائرة بعطب فيما بين المكال وجوبا .. وأعلنت الانباء تأخر الرحلة يوما ...

وأدركت انه يريد أن يغير الموضوع ..

وفى هذه اللحظة ، دخل كميل من غير أن يطرق الباب .. فهذه هى عادته ، وقال لفردينان بلهجة العمل العادية كأنما لم تكن هناك غيبة ولا مغامرة :

ـ سأكلف أربعين رجلا غدا بالعمل فى الحقل رقم ٣

وهكذا كان الثلاثة يتكلمون بحذر شديد ، وكأنهم يتحركون على أطراف أصابعهم فى حجرة رجل مريض .. وهم يعلمون أن أية حركة أو كلمة طائشة قد تؤدى الى كارثة . وكان المهم أن يستمر الجميع فى الكلام والتصرف ، كأن هذه الامسية شبيهة بأية امسية أخرى عادية ، وأن يتجنب كل منهم اظهار اية علامة تدل على توتر الاعصاب

وكانت اميلين مقتنعة أن فردينان نقص وزنه وزادت نحافته ، وقال فردينان وثلاثتهم على مائدة العشاء الذى قامت باعداده أم باليجى بسبب مرض الفتاة :

ـ أطلعنى كميل على نسخة من الاتفاق الذى توليت ارساله الى بروكسل ، واعتقد أن الصفقة تمت بنجاح تام .. واكتشفت أيضا انك أدخلت تحسينات رائعة على المستوصف

ـ لقد كنت فى الحقيقة حائرة .. هل أفتح فى المستوصف نافذة ثالثة أو لا ، ثم خطر لى أن هذه النافذة الثالثة ستنصب منها الشمس طيلة بعد الظهر ، وهى أسوأ ساعات النهار فى هذه المنطقة

ـ انك على حق تماما .. ويجب على الانسان أن يفكر فى هذه الاشياء الصغيرة كثيرا قبل عملها . فالناس البيض يفشلون هنا

www.ibtesamah.com/vb

لانهم لا يقدرون قيمة الاشياء الصغيرة الا بعد فوات الوقت

وبعد العشاء ساد صمت ثقيل .. وانقذ كميل مخدومه بقوله :

ـ ان غدا هو يوم دفع الاجـور .. فما رأيك يا سيدى فى ان تراجع قوائم الاسماء والاجور معا ، فهناك تعديلات لابد من عملها ، وقد جاءت الاوامر من نيانجارا بأن نزيد الاجور للاهالى من ثلاثين سنتيما فى اليوم الى أربعين

ـ فكرة طيبة .. هات القوائم

ووضع منظاره على عينيه ، وقال لاميلين باسما :

ـ تشعرين بالنعاس .. أليس كذلك ؟

ـ قليلا ..

ـ اذن اقترح عليك أن تأوى الى فراشك مباشرة ، وبطبيعـة الحال ستحتفظين بالحجرة التى تقيمين فيها الآن ، وسأنام انا فى حجرة كميل

ولم يكن طبيعيـا تماما او على سجيته ، وهو يقبل خد اميلين ويقول لها عند باب حجرتها :

ـ طابت ليلتك

ولكنه كان يعلم ان نومها لن يكون هذه الليلة كما ينبغى ، وانها ستأرق ثلاث ساعات على الاقل ..

لقد كان يعلم انها بمجرد دخولها الحجرة ستقع عينها على حزمة من أوراق الرسائل الجوية فوق مائدة الكتابة ، تظاهر بأنه تركهـا هناك سهوا ..

وأدركت اميلين أنه ترك هذه الرسائل عمدا ، وأنه فى هذه اللحظة مشغول برد الفعـل الذى سيحدث لديهـا عقب القراءة أكثر من انشغاله بقوائم الاجور

وكانت هذه الرسائل أشبه باليوميات التى كان يرسلها الى أمه ، وكانت تطلع عليها اميلين ..

وتبدأ هذه اليوميات بعد الرحلة بأسبوع

« الثانى من يونية : فى هذا الصباح رأيت طفليها بصحبة مربية ، وثلاثتهم يتنزهون فى حديقة عامة كبيرة أشبه بحدائق الميادين فى

www.ibtesamah.com/vb

باريس . والغلام الصغير صورة من أمه ، صورة طبق الاصل بحيث أننى لا أكاد أتخيله وقد غدا رجلا عندما يكبر ، ولا أكاد أصدق أيضا أننا منذ ستة أيام فقط كنا معا فى الخرطوم .. وفى الخرطوم سويت المسألة بصفة نهائية ، وضاعت فرصتى الاخيرة »

وكانت الليدى ماكنسون فى خلال تحليق الطائرة الى الخرطوم قد تصنعت عدم معرفة فردينان ، وكان ذلك سهلا جدا عليها لانها كانت محاطة دائما بالمسافرين الانجليز الذين بهرتهم شخصيتها فشملوها بعنايتهم واهتمامهم . وكانت هى التى تجلس دائما على رأس المائدة فى مقاصف المطارات

وكان فردينان يرقبها من جانب عينه ، وقد عرف لماذا تكثر من الكلام والضحك بطريقة غير طبيعية ، ولماذا تكثر من التدخين أكثر من المعتاد ..

« ترى هل خطر لها وهى ترمقنى خلسة بالنظرات عبر قمرة الطائرة ، أنه مرت بى لحظات خامرنى فيها دافع قوى كى أنهض وانقض عليها فأقتلها ، ثم أقتل نفسى على الاثر ؟ »

ولم يتحدث فى يومياته الا قليلا عن تلك اللحظة الحاسمة فى الخرطوم . وكان الغداء قد انتهى ، وجلس الركاب يلعبون البريدج .. وكأنما أرادت الليدى ماكنسون أن تهدىء أعصابها ، فخرجت الى الشرفة التى أخليت من المقاعد والموائد خوفا من هبوب العواصف الرملية فى الليل ..

وخرجت فى أثرها .. ولم أكن أفكر عندئذ فى قتلها ، بل لعلى كنت أفكر فى الارتماء على قدميها باكيا .. فهل تراها أدركت ذلك ؟ هل شعرت بالشفقة على ؟ لقد أخذت ترقبنى وأنا مقبل نحوها . ورأيتها تجفل فجأة ، ويشحب لونها وتقبض يدها كأنها تهم أن تغرس أظافرها فى باطن كفها .. ثم بصوت رقيق للغاية ، يفيض ضراعة ، قالت :

ـ أرجوك ...

« كلمة واحدة لم تقل غيرها .. ولكنى فهمت ماذا تريد . كانت ترجونى الا أقول الكلمة أو أقدم على الحركة التى يتغير بعدها كل

www.ibtesamah.com/vb

شيء فى حياتنا .. أجل لو أننى فى هذه اللحظة شئت ...

« ولكنى تركت الفرصة تمر .. وبعد نصف ساعة رأيتها ترسل برقية من مكتب الفندق . وفهمت عندما وصلنا الى الاسكندرية ، حيث كانت طائرة حربية فى انتظارها . ولست أدرى لماذا ركبت الباخرة وتبعتها الى اسطنبول ... ولكن أخالنى لم أكن أستطع مقاومة تلك الرغبة »

وفى البهو كان فردينان وكميل منكبين على مراجعة قوائم الحساب .. ولكن فردينان كان فى الواقع يقوم بحساب عقلى ليعرف كم قطعت فى تلاوة تلك اليوميات ..

« الخامس من يونية : لا أدرى ماذا كان يمكن أن يحدث لى لولا أن لدى نفورا غريزيا من فقدان التوازن العقلى .. لو كنت رجلا من طراز بوديه مثلا ماذا كنت أصنع بنفسى أو بها ؟ انى اشعر طول الوقت أن القدر هو الذى يقودنى ويسيرنى رغم انفى ، مثلما كان القدر يسير أبطال الدراما الاغريقية . وكم ساورتنى فكرة اقتراف جريمة قتل للتنفيس عن غضبى المكبوت ، ثم تنتابنى رغبة أخرى جنونية ، وهى أن أتعقبها الى ما لا نهاية كى أرغمها يوما بعد يوم على أن تكرر لى ضراعتها الحلوة « أرجوك ! »

وبعد ذلك مرت ثلاثة أيام بغير مذكرات .. ثم :

« التاسع من يونية : رأيتها هذا الصباح فى سيارة زوجها ، ولم ترنى فيما أعتقد . ورأيت أيضا ابنها مع المربية ، انه طفل جميل حقا . وعرفت أنها غدا ستقيم حفلة شاى لرجال السلك السياسى .. آه لو استطاع كميل العجوز أن يرانى الآن ! وليت فيلى المحبوب « عقلة الاصبع » يرانى أيضا ليعلم أنى حيوان مثله .. والحيوان المريض يضيق بنفسه ، ويحاول أن يختفى فى أعماق الغابة .. وأنا حيوان مريض تركت لحيتى تنمو وثيابى تتسخ ، وعيناى فيهما احمرار وبريق ، ورجال الفندق ينظرون الى بتوجس ، وكأنهم يخشون أن أقدم على عمل يائس فأنتحر فى الفندق »

« الرابع عشر من يونية : أشعر الآن أن ذكرى علاقتى بها فى

www.ibtesamah.com/vb

المزرعة أخذت تفقد وضوحها .. ولاحظت اليوم انى أهتم بالاشياء التى حولى وابتسم . وعندما تذكرت عناقنا الاول وما لابسه من حذر مختلط بالعنف بسبب اصابة ركبتها ضحكت .. وهذه علامة طيبة على اننى تجاوزت مرحلة الخطر »

« الخامس عشر من يونية : حلقت اليوم ذقنى واخذت حماما تركيا ساخنا بالبخار وشعرت بالراحة . وراودتنى نفسى أن أحوم حول بيتها عسى أن ترانى .. انها بقيـــة من بقايا المرض ، ولكنى أقاوم »

« السادس عشر من يونية : قررت السفر .. ولكنى عازم على تمضية أيام للاستجمام فى القاهرة ، لانى لم أزل متوجسا من وحدتى مع الذكريات فى بيتى مما قد يسبب لى نكسة وانهيارا »

« القاهرة فى التاسع عشر من يونية : مازلت أشـــعر بالسأم ، ولم تستطع الملاهى الليلية ولا النزهات النيلية أن تستهوينى .. وانى افكر الان هل اذا قابلت اميلين سأجد عندى قابلية .. »

« الحادى والعشرين من يونية : اشعر أنى شفيت .. واحس شوقا الى مزرعتى وبيتى »

وقال فردينان لكميل وهما فى البهو :

ـ هل سمعت شيئا يا كميل ؟

ـ نعم صوت الحشية وهى تتقلب عليهـــا .. لابد أنها أوت لفراشها الآن

ـ ولكن النور لا يزال موقدا

ولم يكد ينتهى من عبارته حتى تلاشى الضوء من تحت الباب فقال :

ـ طابت ليلتك يا كميل ..

ـ طابت ليلتك ..

وفى الساعة الثامنة صباحا كان فردينان قد أتم جولته الباكرة فى المزرعة وعاد لتناول الافطار . واشرق وجهه عندما رأى اميلين فى ثوب أبيض ناصع ، وقد نسقت الازهار على المائدة .. ومعهـــا

www.ibtesamah.com/vb

كميل يضحك ويثرثر فى منتهى المرح

وكانت جميع الابواب مفتوحة حتى باب حجرة نوم اميلين وباب المطبخ ، ونور الصباح يغمر البهو .. وسألها :

ـ هل قضيت ليلة مريحة ؟

ـ لا بأس بها .. لولا أنى استيقظت مرتين شغلنى فيهما التفكير فى أمر المسكينة « يت »

وجلس الى المائدة واعتمد عليها بمرفقه . ومن موضعه ألقى نظرة على مائدة الكتابة داخل حجرة النوم ، فوجد الاوراق قد اختفت ..

ـ فردينان !

ـ نعم ..

ـ ألا تظن أن من المستحسن أن نذهب الى نيانجارا لنرى هل نستطيع لتلك المسكينة شيئا ؟ فقد شعرت أمس بالخجل الشديد لانى تركتها دون معاونة .. ولكنى فى الحقيقة لم أشعر عندئذ بالقدرة على البقاء

ـ سنذهب الى هناك بعد الافطار ... وبهذه المناسبة أرى أن لدينا الآن سيارتين ..

وشرعا يناقشان فكرة بيع احديهما .. ونظرات فردينان تحوم مرارا حول مكان الاوراق من مائدة الكتابة ، وفجأة قالت اميلين وقد احمر وجهها احمرارا شديدا :

ـ على فكرة .. عندما كنت أرتب حجرتى الان ألقيت بمجموعة من الاوراق فى النار سهوا ..

ـ فهمت ..

وفجأة نهض قائما .. ولم يبال بوجود كميل ، وضم اميلين بين ذراعيه وأراح رأسه على كتفها ..

ـ أوه يافردينان ! ماذا حدث لك ؟

ـ لاشىء .. من فضلك لا تتكلمى !

وتنهد ثم قال :

ـ نعم يا عزيزتى يجب أن نذهب الى نيانجارا فورا

قالها بلهجة جادة جدا ، فلم تتمالك نفسها من الابتسام ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ يجب أن نذهب فورا وأنت فى هذا الثوب الابيض ، ليعقد الاب جوليان قرانا ..

ـ والضباع يافردينان ؟ ألا سبيل الى التخلص منها ؟

ـ الضباع ياحبيبتى والاهالى السود ، شران لابد منهما ، ولكن المرء يألفهما بعد قليل .. وكأنه ليس لهما وجود ...

ولكن هل هذا صحيح ؟

كلا ـ فقد بدأت القارة السوداء تستيقظ ... والويل لسارقى ثمارها النباتية والبشرية .. فقد حلت ساعة الحساب !

تمت

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

اشترك فى روايات الهلال

(أسعار الاشتراك على الصفحة الثانية من الغلاف)

وكلاء روايات الهلال

لبنان و الاقليم الشمالى :	وكالة دار الهلال شارع فرنسا صندوق البريد ٣١٥٧ بيروت
العراق :	السيد محمود حلمى ـ المكتبة العصرية ـ بغداد
اللاذقية :	السيد نخله سكاف
جدة :	السيد هاشم بن على نحاس ـ ص . ب ٤٩٣
البحرين :	السيد مؤيد احمد المؤيد صندوق البريد رقم ٢١ .
البرازيل :	Dr. Michel H. Thomé, Pateo Do Colegio, No.3 1° Andar, Sala 9, Sao Paolo, Brasil.
غانا :	Mr. Joseph Hassan, The Cine Travel Co. P. O. Box 1883 ACCRA, GHANA
سيراليون :	Messrs. Allie Mustapha & Sons, Freetown, Sierra Leone P. O. Box 410,
سنغافورة :	Ahmed Bin Mohammad Bin Samit, Almaktab Attijari Asshargi, P. O. Box 2205 SINGAPORE
انجلترا :	The Arabic Publications Distribution Bureau, 7, Bishopsthorpe Road, London S.E. 26, ENGLAND

www.ibtesamah.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر يونيو 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

** معرفتي **

هذه الرواية

الكاتب العالمى جورج سيمنون مؤلف هذه الرواية بلجيكى .. ولكنه انسان يشعر بأمانة الانسانية ، وفنان يقدس أمانة الحقيقة ..

وفى هذه الرواية يصور سيمنون حياة الحفنة من الاوربيين الذين كانوا يعيشون فى الكونغو فى عهد الاستعمار البلجيكى وهم لا يشعرون بأى احترام لقيمة أهله البشرية ، بل كل همهم استغلال خيراته وتسخير الوطنيين .. مع الانحلال والتبذل والانهماك فى المتعة

وفى هذا الاطار يقوم المؤلف بنسج خيوط مأساة عاطفية من نوع حاد .. ويتعمق مع البساطة والتشويق المتناهيين فى تحليل النفوس وتوضيح ما يمكن أن تسمو اليه من العواطف النبيلة ، وما يمكن أن تنحط اليه من ألوان الرذيلة

وأبطال القصة بعضهم من بلجيكا ، وبعضهم من فرنسا ، وبعضهم من انجلترا ، وبعضهم من نيوزيلنده .. ولكنك تشعر أنك أمام حقيقة الانسان مهما اختلفت جنسيته . وتستغرقك أحداث الرواية ومفاجآتها غير المفتعلة الى أن تفرغ منها ، فتشعر أنك زدت معرفة بحقيقة الناس .. وزدت فى الوقت نفسه معرفة بخفايا نفسك ، لان الفنان الكبير يريك نفسك وخفاياها حين يطلعك على خفايا الاخرين .. وكأنه يضع أمام سريرتك ووجدانك مرآة مصقولة .

المؤلف

* جورج سيمنون كاتب بلجيكى المولد ، فرنسى اللسان والقلم ، امريكى المهجر

* يكتب الروايات البوليسية كأروع ما كتبها المتخصصون ويكتب الرواية الوجدانية الواقعية كأنك تعيش مع أشخاصها فى صدق

* من أعظم رواياته العالمية : الثلج الاسود ، سآخذ هذه المرأة ، أغلال الخطيئة

جريمة فى الكونغو

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb